

محمد علي التيجاني

# الأصل

بين الاسلام والمبادئ الوضعية

الظواهر العامة في الاسلام





Princeton University Library



32101 060155692

---

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

---

*This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or renew  
by this date.*

---







الظواهر العامة في الاسلام

(1)

# الأصل

بين الاسلام والمبادئ الوضعية

محمد علي التسخيري

(RELAP)

BP161

.2

.J374

1976



22101 022185649

## الاهداء

سيدي ومولاي أمل العالم ، ومنقذه من الضلال والضياع ،  
وماليء الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً !  
سيدي الامام المهدي : قائد البشرية الي كمالها !  
اليك اهدى هذه الهدية المتواضعة . .



## حكمة الكتاب

«والا وانكم فى ايام امل من ورائه اجل فمن عمل فى ايام

أمله قبل حضور أجله : نفعه عمله ، ولم يضره أجله .

ومن قصر فى ايام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله ،

وضره أجله .

الامام

امير المؤمنين (عليه السلام)

فى

نهج البلاغة



## عزيزى القارىء

بين يديك حلقة من سلسلة حلقات نرجو أن نوفق لا يصالها اليك وكلها تستهدف عرض اهم الظواهر العامة فى رسالة الاسلام الخالد. وباكتمالها تتوضح صورة اروع عقيدة ونظام قدمته السماء للبشرية ليقودها نحو كمالها المنشود .

والامل المبشر بالانفتاح انفتاح البشرية على الاسلام بدأ يورق يوماً فيوماً بعد أن كلت البشرية عن الجري وراء السراب الخادع للنظم الاخرى .

كما أن لهذه السلسلة اختها فى الهدف وهي سلسلة « نظرات فى النظم الاسلامية » نسأله جل وعلا ان يوفقنا للقيام باعباء تنظيمها

وتقديمها للقراء مساهمة متواضعة منا في مجال التعريف بالاسلام .  
وما علي ان اذكر به هنا هو ان كلتا السلسلتين توختا الوضوح  
لانهما في الاصل كانتا دروساً عامة للتوعية روعي فيها الهدف التربوي  
العام الذي يتطلب هذا الوضوح .

ومن الله اسأل ان يمن علينا جميعاً بالتوفيق لخدمة اسلامنا  
العظيم والسير على هدى الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله والقادة  
من اهل البيت عليهم السلام وهو الموفق .

محمد علي التسخيري

قم المقدسة ١٣٩٧ هـ



## المدخل

\* عنصر الامل : احد معالم المبدأ الناجح

\* العلاقة بين النمو العقلي والامل

\* التناسب الطبيعي بين نوعي كل من الامل والعمل

\* عنصران مقومان للدعوات

\* مع المبادئ الوضعية



## عنصر الامل أحد معالم المبدأ الناجح

يتعب المفكرون كثيراً في تحديد معالم المبدأ الناجح والذي يمكنه أن يقود الانسان لحل مشكلته المستعصية عليه اجتماعياً ولكنهم مهما اختلفوا في هذه المعالم - فانهم متفقون على أن هناك عنصراً ضرورياً يجب توفره في أي مبدأ يريد لنفسه أن يقود جماعة من الناس، فضلاً عن ادعاء قيادة الانسانية . وذلك العنصر هو «الامل»... ولو استقرأنا ما طرح على الساحة الفكرية والعملية من نظريات مختلفة ، ومبادئ متكررة ، فاننا نجد أنها اعتمدت كثيراً على أن تجلي هذا العنصر فيها ، وتمنحه سمة ما ، بحيث يتصور الاتباع أنه لاشك متحقق ، ان آجلاً أو عاجلاً .

ولو أردنا أن نرجع بالامر الى جذوره النفسية ، لوجدنا أن

هذا العنصر يعتبر خير مازود به الانسان من بين الحيوانات بعدنمة العقل الكبرى . بل نكاد نجزم بأن الامل - وهو نتاج عقلي وغريزي في آن واحد - يقوم بدوره الكامل في العمليات العقلية الثانوية، ولولا لما امكن ان نبصر نتائج تلك العمليات .

وتوضيح هذا الامر : اننا يمكننا أن نختار احدى العمليات العقلية التي تشكل الخط العريض لسلوك الانسان، وهي عملية التغيير الفكرية ، التي يتمتع بها هذا النوع دون غيره، فنشاهد أن الفكر والتعلل ، يمنحه طاقة التعالي على أي واقع يعيشه ، ويتحدد به . بمعنى أن الانسان تُوَطر جانبه المادي ، أطر زمانية ومكانية مختلفة، لايمكنه بجمسه أن يتخلص منها . ولما كانت عملية التغيير تستدعي أن يحيط الانسان بالشيء المغير ، ويمسك خيوط جوانبه العديدة، وينسلخ من قيوده المادية لكي يشخص الحالة الافضل ، - لما كان كل ذلك - فقد زود الانسان بالعقل ليقوم عن طريقه بهذا الجانب الحيوي في حياته .

فالتغيير هو سر البقاء المتطور للانسان ، وهو يعتمد على عملية التعالي عن الواقع ، والنظر اليه من عل لتغييره ، وهذه العملية متوقفة على الجانب الروحي الذي لاتقيده القوانين المادية . وبعد ذلك ، تأتي مرحلتا التخطيط والتطبيق .

كل هذه كانت عمليات يجريها الفكر ، ولكن لو تساءلنا عن

الدافع الذى يبعث الفكر الى اجراء هذه العمليات ، بما فيها من عقبات متوقعة ، فالجواب لن يكون مركزاً الاعلى الامل : أمل الحصول على واقع أفضل ، وأمل الحصانة الاقوى للنوع ، وأمل السعادة بالتالي .

فالامل - اذن - هو الروح المحركة لمسيرة الانسان الفكرية ، التي تبني عليها كل فعالياته الاخرى .

وقد ورد في الحديث الشريف أنه : « لولا الامل ما غرس غارس شجراً ، ولا أرضعت أم ولدها » .

اما ما قلنا به من فطرية الامل ، فانه يتضح بعد التأمل المركز في الغرائز الانسانية التي ترتبط دائماً بحركة الانسان ودافعيته . وتلك من امثال غريزة حب الاستطلاع ، وغريزة حب الكمال ، وغريزة التدين . فان كل هذه الغرائز وغيرها مما يرتبط بهذا المجال تعتمد على عنصر الامل ، اما فى أساس وجودها ، كغريزة حب الاستطلاع باعتبار أن الانسان يريد أن يستطلع على أمل أن يكتشف الواقع ، واكتشافه للواقع هو بنفسه يقوم على أمل انكشاف طريق آخر ، يمكنه من ان ينمي وجوده ويشبع نهم ذاته ، او في تحقيق مقتضياتها كالاخيرتين .

اما وقد ارتبط الامل بالفكر الغريزية ، فهو اذن يجعله مواضعه في كل أنماط السلوك .

فلامعنى لان يقال : بأن المنتحر، والزاهد الراهب ، والحقود على الانسانية ، كل هؤلاء أناس حرموا نعمة الامل ، ولذا ، فهم يسلكون سلوكاً منافياً للسلوك الطبيعي ، ! وذلك : لان الامر على العكس تماماً فكل هؤلاء يأملون، وتتعلق آمالهم بأشياء ، غاية الامر: ان ما تتعلق به آمالهم - فى الواقع - خلاف الاشياء الطبيعية .

اذا توضح هذا ، فلنراجع انفسنا. وسوف نجد ان الطفل يشاكس هذا وذاك على أمل . وان العامل ينبعث الى عمله على امل . وهكذا التاجر والعالم وغيرهم .

ومتى ما ضؤل الامل، قلت الطاقة الحركية ، الى ان ينعدم الامل فلا يبقى دافع للعمل ، وحينذاك فالجمود .

### العلاقة بين النمو العقلى والامل

يمكننا ان نراقب الخط البياني ، لنوعية الامل فى حياة الانسان ونقارنه مع الخط البياني للرشد العقلي له، لنكتشف نوعية العلاقة بدقة .

ان الملاحظ ، ان آمال الانسان تكاد تكون خيالية مائة بالمائة، عندما تتحرك لديه ملكة الخيال - اول ما تتحرك، فتجده يبني أمجاده، ويصوغ أبطاله الذين يحتذي بهم أشخاصاً خياليين، يمزقون الارض بقبضة واحدة ! ومن هنا نجد ولع الاطفال الشديد بالقصص الخيالية، والابطال الاسطوريين !



ونحن هنا . لانعني ان أبعاد الموضوع هي هذه فحسب ! بل  
تشارك هذه العلاقة ، في صياغة الموقف الطفولي . والافالدور الأكبر -  
الى جنب هذه العلاقة - لغريزه حب الكمال الاصيله للانسان ،  
والتي تنطلق حينذاك بلا ضابط .

وكلما ازداد النمو العقلي بعد ذلك ، اكتسبت الامال شيئاً من  
الواقعية ، الى أن يصل الانسان الى المرحلة التامة من الرشد ، وحينذاك  
يكشف تفاهة الامال الخيالية ، وتفاهة الاشياء التي تصور من قبل  
وبمقتضى بيئته انها امور بعيدة المنال .

ومثال هذا: ان يتصور ابن الفقير - الى جنب تصورات الهائلة  
الابعاد ، أن غاية ما يمكن ان يسعد به الانسان في حياته ، هو ان  
يمتلك دراجة نارية ، ويرسم لنفسه صوراً تعرضه وهو اسعد انسان  
عند ما يركب تلك الدراجة ! .

وفي هذه المرحلة بالذات ، يحاول الانسان ان يقيم آماله  
الماضية على ضوء عقيدته من جهة ، وظروفه الخارجية من جهة  
أخرى .

وإذا توضحت الامال جيداً ، وتأكد الانسان من واقعيتهما، انطلق  
يخطط بدقة للوصول اليها . فقد اصبح سلوكه حينذاك ، سلوكاً  
يتم وفق اعداد مسبق، وبنقّة اكبر، وبدافع أقوى ، وهذه هي ارقى  
شروط العمل الناجح . .

ونقصد من الواقعية : الامكانية العقلائية لتحقيق الامل المعين .  
والتي تثير في الانسان دوافع الطموح نحو الوصول للهدف الممكن  
في نفسه .

يقول الدكتور علي احمد علي : « ولكي يؤدي الهدف دوره  
الفعال في تحريك السلوك وتوجيهه ، يجب ان يكون الهدف واقعياً ،  
يمكن للفرد من تحقيقه بجهد مناسب ومعقول »<sup>(١)</sup> .

### التناسب الطبيعي بين نوعي الامل والعمل

لاريب في ان الاهداف الكبرى . تمتلك طاقة جذب كبرى ،  
لاتقاس اليها طاقات الاهداف القريبة والسادجة ، وتلك الطاقة ،  
تستدعي عملاً يتناسب معها .

ويمكننا التأكيد من ذلك بسهولة ، اذا قسنا هدف قارىء للقرآن ،  
دارس له لاجل الوصول الى فهم شيء من معناه الحرفي ، وبعض  
قواعده ، للتوفر على تدريسها ، لابتاء قرية منزوية ، الى هدف انسان  
آخر ، يدرس القرآن ويقرأه ، لاجل أن يتوفر على معالم أطروحة  
القرآن ، التي اريد لها ان تنتظم كل ارتال البشرية وأجيالها في مسيرة  
واحدة . ان هذا الاخير - وهو يعلم عظم ما يبغيه - ليبذل من الجهد  
والتعب والفكر والمعاناة ما لا يقاس الى الجهد الذي يبذله الاول في

---

(١) مجلة العربي العدد ١٦٧ السنة ١٩٧٢ ص ٥٤ .



ذلك ، وان أطلق على كليهما اسم دارس القران .  
فهناك اذن تناسب بين نوعية الامل الجاذب ، وطاقة العمل  
المراد في سبيل تحقيق ذلك الهدف . .

### عنصران مقومان للدعوات

ان كل النظريات المهمة، التي تطرح نفسها كحلول عامة للمشكلة  
الاجتماعية تحتاج الى عنصرين اساسين، يقومان وجودها، وبضمنان  
استمرار توسعها، وشمولها قطاعات اكبر من بني الانسان، ومساحات  
اكبر من الافكار . وهذان العنصران هما : -

الايمان بالمبدأ ، والعمل له . ويتخذ العمل مسارين :

الاول : العمل في سبيل نشر المبدأ كهدف مرحلي .

الثاني : العمل في سبيل تحقيق أهداف المبدأ كهدف نهائي .  
فاذا لاحظنا هذا .

ولاحظنا الترابط السابق ذكره بين النمو العقلي والهدف ، وهو

يرتبط بالعنصر الاول .

ولاحظنا العلاقة بين نوعية الهدف، وطاقة العمل ، وهي ترتبط

بالعنصر الثاني بجانبه المهم .

اذا لاحظنا كل ذلك ، يتوضح لدينا سر اجماع كل المبادئ

والنظريات الأنفة ، على أن تعطي لعنصر الامل اهتماماً بارزاً في اطروحاتها المختلفة . .

فهي تسعى بجد ، لان تبرز أهدافها على اساس أنها الاهداف الاكمل من حيث واقعتها من جهة ، وكثرة عطائها من جهة أخرى، واستمرار هذا العطاء من جهة ثالثة . .

### مع المبادئ الوضعية

ونظرة استعراض بسيطة لهذه المذاهب، تكفي لتأكيد المقصود: فالماركسية اعلنت للبشرية أنها اكتشفت طريق السعادة بكل ما فيه من معالم ، وانها تخطط لليوم الموعود الذي تكون فيه « الانسانية كلها طبقة واحدة ، وتمثل مصالح كل فرد في مصالح تلك الطبقة الموحدة . . حيث يسود الوئام - آنذاك ويتحقق السلام، وتزول نهائياً كل الاثار السيئة للنظام الديمقراطي الرأسمالي »<sup>(١)</sup>.

ويسرف الخيال الماركسي ، في تصور تلك المرحلة الذهبية الموهومة من عمر البشرية ككل ، فيتصور أن أعرق غريزة من غرائز الانسان، وهي غريزة حب الذات، تدوب وتنصهر في المختبر التاريخي، متحولة الى غريزة حب الاخرين! وحينذاك يكون الانسان

---

(١) المدرسة الاسلامية ج ١ ص ٥٣ .

موجوداً ملائكياً خيراً ! وبالتالي .

فلا معنى لوجود قوانين وضوابط ، وسلطة تقنية، وأخرى تنفيذية ! فكل هذه الامور ، انما تتعلق بمرحلة ما قبل الفردوس الموعود، اما وقد بلغت الانسانية ، فلامعنى ولامبرر لوجود الدولة !! انما هي السعادة والعدالة تقوم بصورة طبيعية بين البشر . . . الى ما هنالك من الخيال المنسوج !!

ولاجل أن تؤكد واقعية هذه النتيجة الحتمية ، فقد هادها ذكاً وها لان تجعلها من مقتضيات القوانين الطبيعية الحتمية التي لا تقبل التبديل ومن هنا فقد عمدت الى التاريخ الانساني، تقسمه الى أدوار، محاولة أن تضع في رحم كل دور عوامل تأكله وتفسخه الاتي . . . وهكذا تتسلسل الادوار وفق قوانين المادية التاريخية ، حتى يصل الدور للمرحلة الرأسمالية ، - وهي المرحلة التي قامت الماركسية كحركة سياسية أصلاً لاذابتها . ثم استعانت بالتصور الفلسفي للتاريخ، لتسند أهدافها السياسية هذه ، كما هو واضح لمن درس تاريخها بعمق .

ومن ثم ركزت على هذا الدور ، وحللتها كما تشاء ، متصيداً له بعض الامثلة ، ومستعينة بالاثار المشؤومة لنفس النظام، محاولة بذلك أن تبرر حركتها بأنها تساند حركة التاريخ، التي ما ان تتفاعل مع الجماهير ذات المصلحة ، وبصورة طبيعية حتى ينتج الامر

الانتصار . ! وعندما أفلحت في مرحلتها الاولى ، بدأت ترسم ذلك الهدف المعسول ، لاجل أن تبرر ستارها الحديدي المقيت ، في مرحلة اسمتها « الاشتراكية » داعية في هذه المرحلة ، الى « بروليتارية العمال » ، والضغط والقوة والعنف الثوري ، واعدة الانسان بتحويله في النهاية الى انسان يصلح ان يدخل دور الشيوعية التي لن يجد فيها الا البرد والسلام . . !

اما الراسمالية : فهي بدورها ايضاً ، لم تقم الا على أساس الوعود العريضة ، وفي ظل قادة كانوا يصفون للبشر الجنة الموعودة ، ويمدونهم بالخلاص من نير الحكام والاقطاعيين والسادة ، والحصول على اروع جوهرة ، ركب حجبها في اعماق الانسان وهي « الحرية » . . !

وهكذا وعدت بالمجتمع الاقتصادي الحر . والمجتمع الفكري والسياسي الحر : حيث لا ضغط من اي جهة ، وحيث الفرد فيه يحصل على ما يريد ، وفقاً للمجالات المفتوحة له على مصراعيها . !

وكان سندها في هذه الامال ، نفس نزوعه نحو الحرية ، وطلبها بأي ثمن ، محاولة بذلك ، ان تضيئي عليها ثوب الواقعية . ! ولا يهمننا الان ، ذكر ما لاقاه العالم من هذين النظامين بعد ذلك ، من مأس مروعة ، ودمار فكري واخلاقي ، بقدر ما يهمننا ان نؤكد

ان كليهما ، أكد على عنصر الامل فيه ، وحاول جهده ان يضيف عليه  
ثوب الواقع ، سواء بالاستناد الى قوانين التاريخ ، كما فعلت الامار كسية  
او الاستفادة من النزعات الداخلية للانسان ، كما فعلت الراسمالية ،  
مما يؤكده لنا ما قلناه .





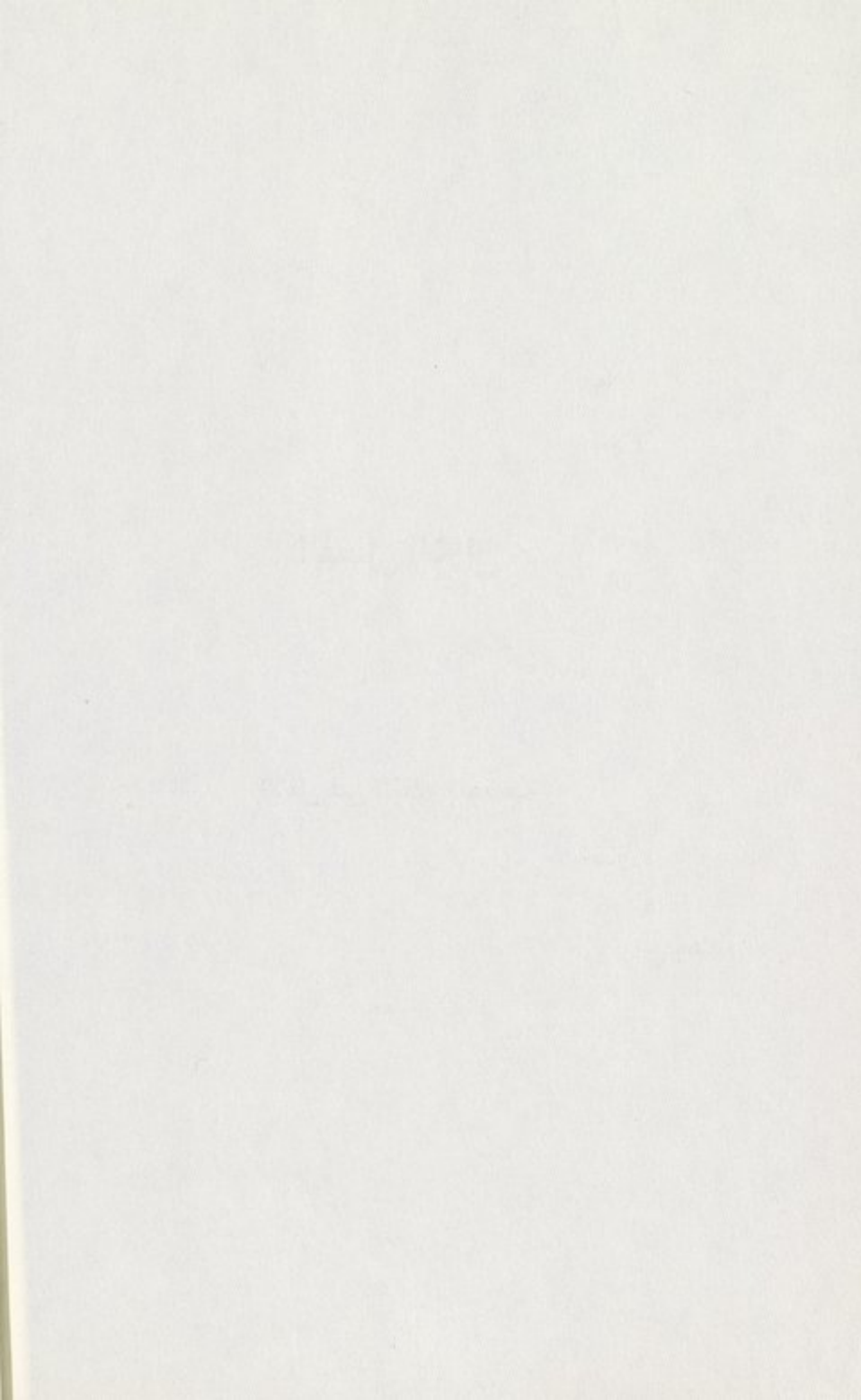
# الفصل الاول

الامل في النظم الوضعية

\* حدوده

و

\* موهناته





الامل فى النظم الوضعية حدوده ، وموهناته :

رأينا ، ان كل النظم التي تحاول ان تجد لها اتباعاً ، تشعر بأن الامل ، هو الديناميكية المحركة للاتباع ، بل العامل الرئيس فى جلب الاتباع انفسهم اليها .

والان ، نحاول ان نخطو خطوة اخرى من البحث ، فندرس امكانيات عمل هذا العنصر فى الانظمة التي يخترعها الانسان، والتي تسمى بـ «الوضعية» وهي التي لا ترتبط بأي عنصر غيبي ، ولكن اعتمدها الانسان ، لاجل ان يرسم لنفسه اسلوباً يوصله للسعادة ، بغض النظر عن هدى السماء . وبعد هذا ، ننفذ الى فاعلية الامل فى الاسلام وطاقاته ، بعد ان نؤكد، على ان الاسلام هو الصورة الصادقة للنظام المستند الى قاعدة غيبية أصيلة واقعية .

واهم صفة يمتلكها هذا العنصر في النظم الوضعية هي «التحديد المادي» .

وذلك ، لان الانظمة الوضعية كلها ، انما تخطط للجانب المادي من حياة الانسان ، ولا تعترف بأي تأثير لاي عامل غيبي ، في تخطيط مصيره وتقريره .

ولذا ، فغاية ما يمكن ان يعد به النظام المادي ويتعهد به ، هو أنه ، يستطيع أن يوفر للانسان حياة سعيدة هانئة ، يأكل فيها ما يريد ويشرب كذلك ، ويعيش في مسكن آمن ، يحترمه مجتمعه ، ويضمن له حقوقه من تعليم وصحة ، وتقاعد في الشيخوخة وما الى ذلك . هذه هي غاية ما يمكن أن تمنحه النظم الوضعية للانسان، ولكن بعض هذه النظم لمالم تجد ذلك كافياً لاشباع طموح الانسان ، واصطدمت بواقع شوقه لبناء الانسانية الموحدة ، فقد تجاوزت هذه الغاية بعد أن مهدت لهذا التجاوز بالقيام بطرح فلسفة ، ومفاهيم تتنافى والمفهوم المادي الذي بنيت عليه اساساً . فأخذت تقوي عناصر التضحية ، والعمل في سبيل الجماهير ، والكدح في سبيل رقي المجتمع ، والنضال لتحقيق الديمقراطية ، والعمل على تغيير العالم ، ولو فنيت الاشخاص الفردية للانسان ، وذبحت الالاف ، وديست الحقوق الشخصية ، وامتهنت ايما امتهان . . ! وضرب النطاق الحديدي حول الحريات . . ان كل هذه الاشياء ، لاقيمة لها

فى حساب تحقيق الهدف الابد ، وهو صياغه عالم شيوعى مثلاً ، ولو فنى ثلثا العالم - على حسد تعبير بعض قادة الشيوعية - ، او التحضر والتمدن للانسان كل الانسان ، حتى ولو ذبحت فى سبيل رسالة الرجل الابيض هذه شعوب ، واحرقت مدن ، وامتصت دماء ودماء . !

والحقيقة انها شعرت بان اهدافها لن تحقق لو انحصرت بالشكل المادى . فانها لا تكفى مطلقاً لبعث مفاهيم الايثار والتضحية والولاء الصادق وبعد النظرة ، بل لبعث اى مفهوم اخلاقى أو عملى . لذا ، فقد عمدت الى طرح هذه الشعارات ، متناقضة مع اسمها هي ، سواء كانت اعتمدت عليها ، أو اغفلتها وهى متعمدة ، اذ أن كل ذلك لا يتلاءم والاعتقاد بأن الحياة الانسانية محصورة فى هذا الشوط وهو الحياة الدنيا فقط . فاذا مات الانسان انقطع عن اية علاقه له بأى شىء ، فهو العدم المحض الذى لا يصله أى خير ، ولا يوصل أى خير للآخرين ، ولا يحس حتى بكلمات المدح والذكر العالى الطنان ، ان كان الذكر العالى لقادة هذه النظم أعلى من صرخات اللعنة الصادرة من المعسكر الاخر . !

### الاعتراض بملاحظة الواقع التطبيقي

فان واجهنا أحد - معترضاً : بأن هذا المعنى يختلف مع الواقع

التطبيقي ، حيث نشاهد اولاء السدى قدموا اعناقهم الى المشانق ،  
وعملوا جهدهم في سبيل انتشار مبادئهم ، وناضلوا سنين متطاولة  
في ذلك .

## والجواب

اناقول لمثل هذا : أليس تحليلنا السابق، والتناقض القائم بين  
البناء والاساس حقيقة ؟ فان كان كذلك فيجب أن نبحث عن العلة في  
أساليب الاغراء التي تتبعها هذه المذاهب ، والاهداف الشخصية  
للقيادة الذين يمتلكون زمام هذا الهمج الرعاع، وفي الظلم والاجحاف  
الشديد ، الذي يواجهه اولئك الذين استهدفهم نظام معين من النظام  
الآخر ، وفي المفاهيم الخاطئة التي قد تستحكم في طبقة من الناس  
حول الوطنية والقومية وغير ذلك، فتمنحها صفة ألوهية محدودة ،  
وأخيراً في بعض صفات السوء التي تتحكم في امثال أولئك الذين  
اعتنقوا مثل هذه المبادئ كالكبر ، والعناد ، والصلف .

كما اننا يجب ان لاننسى دور العقد التي تنعقد في نفس الانسان  
نتيجة عوامل عديدة، فتعميه وتدعه لا يابه لكل شيء الاتحطيم ما يتخيله  
عدوه ، ولو فقد كل شيء . وهل نسينا الحوادث المتكررة التي يضر  
الانسان فيه نفسه أكبر الضرر لاشيء الا ليضر عدوه جراء ذلك ولو  
بأقل الضرر؟ وقد حدثنا القرآن عن مثل ظواهر العناد والتعقيد كثيراً



ومن الموارد التي يذكرها مورد اولئك الذين قالوا « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم »<sup>(١)</sup> انه منطوق العقد فبدلاً من أن يقول هؤلاء اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا للإيمان به، يقولون « فامطر علينا حجارة من السماء » .

كما ان للطمع المالي والاعراض المنصبية دورها الفعال وهل نسينا منطلق المرتزقة في (افريقيا) وهو الموت في سبيل الذهب ؟ وكذلك يمكننا ان نضيف الى جنب هذه العوامل الدور الذي يلعبه التحزب وتعميق الطاعة الحزبية بشكل يفقد الفرد معه شخصيته ويتحول الى آلة طيعة بيد الحزب او الفئة المسيرة .

واخيراً فانه يمكن ان نضيف الى ذلك عامل الغرق في الخيال الكاذب والعيش على موائد أمل التمجيد، حيث يترنح الانسان حينما يتصور الانسانية يوماً ما مستصحو على تضحيات هذا البطل فتنصب له تمثالاً في ميدان ، او تطلق اسمه على ساحة كبرى ، أو تقيم له احتفالات سنوية متكررة . .

لا يمكن للاغراء ان يحل محل الدين

فان ادعي بعد ذلك : اننا نستطيع ان نقوم بأداء ما يؤديه الدين

---

(١) الانفال : الآية ٣٢ .

فى حياة الانسان ، بأساليب الاغراء هذه ، رغم ضحالتها ، فالغاية تبرر الوسيلة . ! فان جواب ذلك واضح للمتبصر . اذ أن مثل هذه الاساليب ، انما هي وسائل وقتية المفعول بنفسها ، وتعتمد على التخدير الانى للفكر الانسانى . فى حين ان أساليب القرآن تتصف بالدوام والعمق فى ضمير الانسان وفطرته، واستيعاب مختلف الظروف، اى العمل تحت اى ظرف كان .

ومن هنا ، فلامجال للمقارنة بين اساليب الدين ، وهذه الاساليب ، هذا بالاضافة الى ان الروح العدوانية الضيقة ، واللاخلقية المقيتة التى تنشرها هذه الاساليب ، هي مما يؤدي الى القضاء تدريجياً على نفس الفكرة التى تتخذ هذه الوسائل لنيل مآربها .

على انا ، يجب ان لانسى أنه ما من موقف وقفه احد انصار المبادئ المادية يمكن ان يقارن الى بعض المواقف الصارمة التى وقفها انصار العقيدة الدينية .

ان الخيال ليكاد يعجز عن امثال مواقف النبى العظيم، وأصحابه الكرام ، وفى طليعتهم علي امير المؤمنين ، فى مجال التضحية بكل غال ورخيص فى سبيل تحقيق الهدف .

وهل تقاس مواقفهم الى مواقف الحسين واصحاب الحسين مثلاً فى صبيحة كربلاء ؟ !

ولا معنى لان تقام جان دارك مثلاً أمامنا ، بعد ان اتضح لنا انها

المرأة التي حركتها تخيلاتها ، والارواح الخفية التي آمنت بأنها تناديها نحو المجد . على انها على أية حال ، لم تكن ذات عقيدة مادية لتكون مادة للاعتراض .

### اهم موهنات الامل المادى

فأهم ما فى الامل المادى من موهنات، يمكن ان يلخص فى نقاط:  
أ - انه هدف مرحلى ، لا يمتلك ما يمتلكه الهدف البعيد الكبير الذى يمكن للاسلام ان يستهدفه من تشريعاته ، من طاقات دافعة ، ومن نظرة شاملة . ان مثله - والحال هذه - مثل قوم مروا بمرحلة بين منزلين ، ثم لم ينظروا الى أبعد من ذلك ، ولم يستهدفوا الراحة موقته فى هذه الفترة فقط . وهل يقاس اولاء بمن امتلكوا فى ذهنهم ابعاد رحلتهم كلها ، فركزوا على ضوئها ، ونظروا الى منتهائها الذى يصوره الاسلام بشكل لا يتصور فوجه رقى او كمال ؟ وهذه المرحلية هى التى أشرنا الى انها لاتقوم بما يتطلبه اى نظام مبدئى من عمل وتضحيات .

ب - انه ينسى الانسان جوانبه الاخرى غير المادية . . ففي الانسان جوانب أخرى لاترتبط بالمادة مباشرة ، وانما ترتبط بالعقل والفكر والوجدان . فاذا استهدفنا فى حياتنا هدفاؤنا من حاجات جزء من كياننا ، فاننا نكون قد اخللنا بالتوازن الروحي المادى ، المطلوب حقاقى

حياة الانسان . ولهذا الاخلال آثاره النفسية والفكرية ، فضلا عن  
الاثار الاجتماعية العظمى له . ونحن نعلم ان الانسان اذا مارىبى تربية  
صحيحة ، ونميت لديه الاحساسات المعنوية ، او ما يسميه احد  
كبار العلماء بـ « الاحساس الخلقى بالحياة » فان ذلك كفيلا لان يدفعه  
وبصورة منتظمة بل ومتصاعدة فى الشدة نحو العمل الجاد والمجهد ،  
كما نرى فى اصحاب المبادئ . فى حين نجد ان الذين لا يستهدفون  
الا الاشباع المادى ، يعيشون تماما عن ذلك المستوى السابق .  
أنهم لا يحسون بنكهة معينة لعملهم ، اللهم الا كما تحس الحيوانات  
بنكهة طعامها « و الذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام »  
ففرق فى الاداء - فضلا عن النتائج - بين أن يقوم الانسان بعمل ما  
يحس من ورائه بانه أشبع لذة موقته ، وبين أن يقوم بنفس العمل  
وهو يعلم ان ذلك جزء من حلقة تنتهى الى سعادة أبدية ، ورقى  
معنوي رائع .

ج - انه لا يمتلك خاصية التجميع على طريق واحد . وذلك  
فان اى نظام يدعى لنفسه ، انه منفذ الخلاص للمشاكل البشرية ،  
لا يمكنه ان يكون محدودا بحدود خاصة . والا كان علاجا موضعيا قد  
يضر - ويضر بالتأكيد - بالمواضع الاخرى ، فلاجل ان يكون امينا  
مع دعواه ، عليه ان يخطط للعالم والاجيال البشرية المعاصرة -  
على الاقل - ، وتخطيطه يتطلب اول ما يتطلب ، هدفاً عالمياً . وقد



يفلح في اصطلياد هدف براق جامع ، يسميه العالم الحر او العالم الشيوعى أو . . . ولكنه يجد نفسه في النهاية محكوماً للمصالح المادية التى يسعى جادا لتحقيق مقتضياتها ، وهذا يعنى انه يظل تتقاذفه رياح المصالح الشخصية . وان تجاوزنا عن ذلك فالمصالح الضيقة لمجتمع دون آخر . . . وهذا انامنا ، النظامان الرأسمالى والاشتراكى وكلاهما يناديان بهدفين براقين ، الاول يدعو الى الحرية ، والثانى يدعو الى الحياة التى ليس فيها استغلال . ! هذان النظامان هل سلما - فى نظرتهم المبدئية وتطبيقهما - يوماً من الايام من الاهواء الشخصية او على الاقل الاهواء الضيقة لاحد المجتمعات ؟ ان نظرة واحدة الى عملية التعامل الاجتماعى القائمة بين النظامين ، بل وبين اتباع النظام الواحد ، كافية لاشعارنا ، بان الاهداف المادية رغم كل بهرجتها لاتستطيع ان تجمع البشرية كلها على مقصد واحد فى طريق واحد . . . وستظل البشرية تبحث وتبحث بمقاييسها التى تخترعها هى .. وستنكشف لها الحقيقة بعد لاي .. وانه لاعلاج لها الا بهدى السماء « ومن يهد الله فهو المهتد » وان حياتها الدنيا قبل حياتها الاخرى لن تجد لها رونقا انسانيا الا فى اطاره ، وبدون ذلك فالضنك والنكر . « ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » . . .

ولن نسهب هنا فى عرض النماذج الواقعية والتاريخية لهذه

القضية ، بل نكتفى بالاشارة ، اقتناعاً منابان القارىء الكريم لايفوته  
النظر الى الاختلافات المصلحية الضيقة بين روسيا والصين مثلاً ،  
وبين امريكا وفرنسا مثلاً آخر ، بل بين قادة كل من هذه الدول المبدئية  
على زعمها ليتأكد ، ان الاهداف المادية لشخص ما ، او طبقة ما ،  
لايمكن ان تحدها حدود وتمنعها من التوسع ضوابط ، مادام الجانب  
المعنوي قد ابعده عن مسير الانسان ، وهذا ما يمكن ان نسميه بالطمع .  
فلن تكتفى الطبقة المسيطرة مثلاً على الحكم في بلدها بتوفر اسبابها  
المادية ، وانما تحاول ان تستزيد وتستزيد ، فتسلب الطبقات الاخرى  
كل حقوقها ، بل تدفعها لذة الانتقام الى الاعتداء على وجودها  
وسلبها أقل ما يمكن ان تقوم به الحياة الانسانية . في حين نلاحظ  
أن الاهداف التى تسمى على مستوى المادة ، تمتلك من الضوابط  
الدقيقة ما يمكنها من ايقاف اي متجاوز عند الضرورة عند حده كما  
سيأتى شرحه ان شاء الله تعالى .

د - افتقاده للضمان فى مرحلة السير اليه اولاً . وفى مرحلة  
ترتب النتيجة ثانياً :

ونقصد من ذلك ان الهدف المادى مهما كان ، لا طريق الى  
تحقيقه ، ولا ملزم بالسير نحوه ، الا الرغبات النفسية والقانون .  
والرغبات النفسية ليست وافية للهدف الواحد دائماً ، بل هى متقلبة  
مع اية ربح تميل بها الى اهداف اخرى ، او هي متوقفة عند اقل

شبهة تثار امامها . واما القانون فهو صنيعه الانسان ، متى شاء غيره ان استطاع . هذا من جهة حتميته ، واما مع غض النظر عن ذلك ، فغير خاف ، ان القانون ، انما يعامل الانسان على حد أدنى من الطاعة ، ولا يمكنه - باية حال - أن ينفذ الى اعماق جانب وأهمه في الانسان ، ذلك هو الجانب الخفي في تفكيره ، والذي يشكل ضمانه الدفع الضرورية لكل عمل متواصل مترابط يتطلب سعياً وصبراً للوصول الى غايته المنشودة ، فيكون القانون اذن عاجزاً عن تقديم الضمانة الكاملة للتطبيق. هذا اولاً. واما الامر الثانى الذى يفتقد الهدف المادى على أساس منه ضمانه التحقيق ، فهو الترابط العلى بين سلوك الطريق المعين من قبل المبدأ ، وحصول الهدف المعلن من قبله . . فانه يظل الهدف الذى يرفعه اى مبدأ ، مجرد شعار وأمل غير مرتبط بالواقع ، مادام معرضاً لاحتمالات كثيرة منها الخطأ فى الاجتهاد الذى تصور الترابط ، ومنها تبدل الظروف التى يصبح معها الترابط بين السبيل والهدف واهياً ، الى غير ذلك .

فى حين يسلم الهدف الدينى من مثل هذه النقاط الموهنة . فالانسان المسلم مثلاً - كما سيأتى ان شاء الله - يشعر تماماً بأنه مرتبط بسر الكون والحقيقة التى ليس فوقها شىء . وانه ان سلك الطريق المرسوم فانه سيصل حتماً الى النتيجة وان كان أخطأ الطريق فى الواقع .

وسنرى ، ان المسلم ينقطع رجاؤه الا من الله تعالى . ويعتقد ان غير الله لاقيمة له فى آية نتيجة . وهذا ما نراه واضحا فى الدعاء الذى يعلمه الامام لاتباعه اذيقول العبد فيه مخاطباً به : « ولو رجوت غيرك لاخلف رجائى » .

٥ - الفشل الظاهرى الاول يكفى لزعة الثقة بالمبدأ فى مجال تحقيقه للهدف . وذلك امر مهم جداً يسلم منه الهدف الدينى . وتوضيحه هو : انه لو افترضنا ان مبدأ مادياً حمل لواء دعوة الى هدف معين ودعا اليه الانسانى كلها ، ثم نهض بالامر وامتلك زمامه فى منطقة ما ، ولكنه فشل فى تحقيق ما كان يدعو اليه ، فانه حتى لو كان الفشل نابعاً من ظروف خارجية ، فان ذلك بلاشك ، يوضح عدم امكانياته فى تحقيق ذلك الهدف للعالم كله . . فى حين لا يكون ذلك موجبا لاي وهن او ضعف فى اتباع الهدف الغيبى . اذ لا يهمل اولئك النصر والهزيمة ماداموا قدادوا واجباتهم اداء كاملا . لانهم يعلمون ان النتيجة لهم « والعاقبة للمتقين » .

### مثال رائع

وتحضرني وانا امر بهذا الجانب كلمة قالها بطل الاسلام الخالد الامام امير المؤمنين عليه السلام وعبر بها عن شعور المسلم الواعى الاصيل ، بانه المنتصر مهما كانت النتيجة الظاهرية .



فحياته عليه السلام في حساب الموازين المادية - خسارة ما بعدها خسارة - ليس فيها الا التعب ، والا العناء ، والا الجهاد ، المتواصل والخسران الشخصي المادى ، وتألب الاعداء، والاصدقاء، وغير ذلك . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فهو يلمح مستقبلا مظلما كثيبا مخضباً افقه بدماء اولاده الطاهرين .

كل هذا يحسبه امير المؤمنين ، في لحظة رائعة من لحظات تهجده ، والدم يخضب شيبته الكريمة ، وهو فى محراب مسجد الكوفة ، وسم السيف ينفذ الى اوصاله ، يحسب ذلك على عليه السلام ، ثم ينطلق بقولته الرسالية الواعية الخالدة : « فزت ورب الكعبة » .

نعم انه الفوز الكامل : ان يقوم الانسان الواعى الهادف، لاهداف تسع الوجود كل الوجود بما عليه من واجبات ومهمات وتضحيات فيؤديها خبير اداء وفوق ما تتطلب ، ويعود الى ربه هادئاً مطمئناً واثقاً حقاً من العطاء الخالد الذى ينتظره .

ولعمري هل يقاس مثل هذا الموقف الى موقف قادة الشيوعية او النازية ، او ما الى ذلك من مبادئ مادية ، والذين ما ان شعروا بهزيمتهم حتى رأيتهم يتهافتون على الانتحار . . ! !

و - قطع الصلة الواقعية بين الجيل الحاضر والاجيال الماضية . وهذا جانب مهم فى مجال تعداد موهنات الاهداف المادية . فكلنا

يعلم ان الاهداف الكبرى - والمفروض ان الاهداف المادية كذلك  
اذ عرفنا انها اهداف عالمية - لا يمكن تحقيقها بجيل واحد ، وانما  
قد يحتاج الامر الى اجيال واجيال . فما من مبدأ عالمي امكن ان  
يحقق اهدافه العظمى في اطار جيل واحد ، بل ما من مبدأ ادعى ذلك .  
وهذا يتطلب حياة دائمة لكل افراد المسيرة .

وقد قلنا : ان هذا الامر يتناقض مع الاساس المادى للمبادئ  
المادية باعتبار أنها افترضت فوائد تصيب الانسان بعد موته ، مع  
ان ذلك خرافة فى نظرهم ، وفى هذا المقطع نحاول ان نشير الى  
نفس النقطة من جانب آخر ، وهو جانب الجيل الاتى وتأثره الفكرى  
والعاطفى بالجيل السابق . . فلاريب فى ان كل جيل بنفسه يمتلك  
منابع الطاقة المحركة التى قد لا يملكها ولا يملك مثلها الجيل الاخر .  
واقصد بهذه المنابع امثال وجود القائد المحنك الذى يستطيع ان  
يحرك الجماهير بطاقاته ، او وجود الفرقة المنظمة المحكمة التى  
يجد قدمها وتماسها بالامة له مساقط فى عواطفها لا يمكن ان تنمحي  
احياناً . وذلك ملحوظ فى الامة التى امتلكت قائداً معيناً اعطاها كل  
ما يملك ، وعاش معها آلامها وآمالها . فان هذه الامة ستظل بعد  
وفاته تعيش الى زمان يطول او يقصر - حسب قوة التأثير - على  
بقايا شخصيته ، وانشادها بها .

واحسب اننا بهذا المثال قد اعطينا النموذج العالمى ، ويمكننا



ان نجد له نماذج على مختلف المستويات حتى نصل الى التأثير الذى يتركه أب حازم حلیم متزن ، فى ابن نما ومثله الاعلى ذلك الاب ، او معلم عالم أمين مرب فى تلميذ تربي على يده واستقى أهدافه من تعليماته ، واخيرا صديق ودود عاقل ذو شخصية جذابة تشد اليها نفوس اصدقائه وتربطهم بهربطاً يظل يمتلك القوة الشادة حتى بعد وفاة ذلك الصديق .

ولوتعدينا هذا الارتباط المباشر بين الجيلين الماضى والتالى ، فانا نشاهد عملية ربط اكبر من ذلك ، يقوم بدور الوسيط فيها الفكر والقلم البناء ، حيث يقدم القائد الفكرى مثلاً نتاجه الى التاريخ ويسجله التاريخ فى صفحاته الخالدة ، ثم تأتى اجيال واجيال تتملى ذلك النتاج وتعشق تلك الروح العالية التى ابدعته ، وتروح تستمد منها العزم والاحلاص ، وتناجىها فى خطواتها الحياتية .

اننا نؤكد على ان لكل ما بيناه من انواع الانشداد تأثيره الفكرى تارة ، والعاطفى أخرى ، والاثنين معامرة ثالثة . وذلك لخلق دفع وعزم واصرار طموح للعمل . هذا هو الامر بغض النظر عن ما نريد تطبيقه عليه . واذار جعنا الى مجالنا هذا نجد ان الاهداف المادية لاتملك او بالاحرى اتباع المبادئ المادية لايجدون فى انفسهم ذلك الدافع القوي المؤثر وذلك الارتباط الا فى الحدود العاطفية الخيالية فقط ، وهم يشعرون بذلك - ولو فى لحظات وعيهم لانفسهم على الاقل - وهذا الشعور

كاف للتقليل من الانشداد ان لم نقل بكفايته للقضاء عليه . .

وفي هذه النقطة نجد من الطريف حقاً بل من موجبات السخرية ان يقف قائد مادی على جسد قائد آخر فيقسم له بشرفه انه سينتقم له ، او انه سيبقى حياً فى القلوب أو بقوله : « نم قرير العين فجيلك الذى ربيته على مبادئك سيسير على نفس الطريق ... ! كذا » ان ذلك يتناقض مع عقيدته بالروح والحياة الاخرى و . . الى غير ذلك . اما اذا انتقلنا الى الطرف الاخر ، الى محيط الدين والاهداف الدينية ، فانا سنجد ذلك اساساً من اساس العقيدة . فالمسلم يعتقد فى اصول عقيدته ان الانسان يمكنه ان يعيش عالماً غيبياً آخر غير ما نحس ونتصل به اتصالاً مادياً . . وهناك فى ذلك العالم يمتلك بصراً جديداً ، ونفوذاً علمياً فريداً غريباً على عالمنا . . فهو اذن يرقب من خلفهم وراءه بكل دقة وهو يفرح واقعاً كلما عمل الآخرون له عملاً خيراً ، ويسوؤه جداً ما يطلع عليه من انحراف .

فالجيل التالى فى ظل العقيدة الاسلامية يعتقد بكل جد ، ان الجيل الماضى وفيهم القائد الفلانى الكبير يرقبهم فى كل خطواتهم ويلاحظ كل انماط سلوكهم . . . بل يمكن القول بأن الامر يزداد تأثيراً بعد الموت عنه فى حالة حياة القائد . فلربما كانت حياة القائد المادية تمنعه عن مراقبة انواع السلوك التى كان يقوم بها اتباعه ، ولكنه بعد موته يمتلك تلك الطاقة التى يمكنه بها ان يطلع ويراقب .

وسياتى ان شاء الله حديث يرتبط بهذه النقطة ، عندما نبحث  
الامل فى العقيدة الاسلامية والمفاهيم القائمة على اساسها ونربط  
بينها . وهناك نشير الى عنصر الانتظار وتأثيراته فى حياة الجماعة  
المسلمة .



## الفصل الثانى

### الامل فى الاسلام

\* رأى بعض المراجع اللغوية

\* الاستعمال فى النصوص الشرعية

\* الترابط بين اجزاء الاسلام

\* روافد الامل فى العقيدة





## الامل فى الاسلام

يحسن بنا قبل ان ندخل فى بيان مظاهر الامل فى الاسلام او منمياته على الاصح ، يحسن ان نحدد مفهوم كل من الامل والرجاء والتمنى ، كمقدمة لفهم النصوص التى ترد فى البحث .  
ولاول وهلة ، يبدو ان الامل يعنى ما يتوقعه الانسان او يتطلب ويتصور وقوعه بما يتعلق بالامور المادية فى هذه الحياة الدنيا فى حين ان الرجاء يتعلق بالامور المعنوية التى تدخر للانسان فى عالم الغيب . ويختص التمنى بعد ذلك بالظن الكاذب والتخمين الخادع . ولكن هذا التصور الاولى الذى اوجده كثرة الاستعمال فى هذه المعانى غير صحيح كما سيتوضح بعد قليل .

## رأى بعض المراجع اللغوية :

يقول المحقق الكاشاني :

الرجاء: الفرح لانتظار محبوب . فان حصل اكثر اسبابه صدق اسم الرجاء ، وان فقد فالغرور ، فان شك فالتمنى .  
ويقول فى مجمع البحرين : الامل بالتحريك . . . الرجاء...  
وهو ضد اليأس ومنه قوله تعالى « وخير أملا »<sup>(١)</sup> .  
وقال الراغب الاصبهاني فى مفرداته :

« والتمنى تقدير شيء فى النفس وتصويره فيها . وذلك قد يكون عن تخمين وظن ، ويكون عن روية وبناء على اصل ، لكن لما كان اكثره عن تخمين ، صار الكذب له املك . فأكثر التمنى تصور مالا حقيقة له »<sup>(٢)</sup> .

وقال « والرجاء ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة » وعلل تفسير الرجاء بالخوف فى قوله تعالى : « مالكم لاترجون لله وقاراً » بأن الرجاء والخوف متلازمان .

وهكذا رأينا ان بعضها يفسر الامل بالرجاء ، وبعضها الاخر يجعل الرجاء المبتنى على اساس اصل معين نوعاً من التمنى وان كان الاستعمال فيه قليلاً .

(١) ص ٤٢٣ الطبعة القديمة باب الامل .

(٢) ص ٤٧٦ المفردات .

## الاستعمال فى النصوص الشرعية :

يمكننا بملاحظة النصوص الشرعية ان نخرج بالنتيجة التالية وهى : ان الامل والرجاء والتمنى كلها تستعمل فى معناها اللغوى وهو طلب الحصول ، وذلك اعم من حصول الشئ الدنيوى والاخرى والقرينة اللفظية او الحالية ، هى التى تحدد ايها المراد .

فنحن نجد الى جنب النصوص التى تدم الامل من قبيل «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل» الحجر « ٣ » وما نجده فى دعاء ابى حمزة الثمالى الذى علمه الامام السجاد عليه السلام اياه ، اذ يقول فى مقام المعتذر : « فقد افئيت بالتسويق والامل عمرى » . وما ورد فى دعاء كميل الذى علمه الامام امير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد : « وحبسنى عن نفعى بعد املى » وقول الامام عليه السلام : « اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل » النهج ص ٧١ ج ١ ، والمقصود بها طبعاً بقرينة الحال الامل الدنيوى الدنىء ، نجد الى جنبها نصوصاً تمدح الامل مثل : الاية القرآنية « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً » الكهف ٤٦ « عظم يا سيدى املى وساء عملى فاعطنى من عفوك بمقدار املى » بل يعتبر الامام (ع) الدنيا دار امل ، كما جاء :

« الا وانكم فى ايام امل من وراءه اجل فمن عمل فى ايام امله

قبل حضور أجله ، نفعه عمله ولم يضره أجله » .

ومن دعائه يقول: « ان تؤمل فخير مؤمل » وفي موضع آخر :  
« وقد ساقنى اليك املى » والنكته فى الذم والمدح كلها تكمن فى  
متعلق الامل ، فان كان فى اطار مادى محض اى مجرد عن الاستعانة  
بالله تعالى فانه غرور وضياع ، كما تقدم فى شرح الاهداف المادية،  
وان كان المتعلق أخروبيا اودنيوياً طريقاً الى الاهداف المعنوية فهو  
الخير كل الخير<sup>(١)</sup> .

يقول عليه السلام فى النهج ص ٩٨ ج ١ : « ان الدنيا تفر المؤمل  
لها والمخلد اليها » ، « أن النعمة لن تسلب الا بكفر يؤملهم بخير  
الدنيا ظاهراً » .

وسياتى فى خلال البحث نصوص واحاديث توضح هذا المعنى .  
وهكذا لفظ الرجاء فقد استعمل فى معناه اللغوى ، ولكننا وجدنا  
ان الغالب فى استعمالات النصوص الشريفة له ، هو فيما اذا كان  
متعلق الطلب امراً مشروعاً وغالباً ما يكون معنوياً اخروبياً ، كما  
يلاحظ فى النصوص التالية :

« فانهم يألومون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » (١٠٤)  
النساء .

---

(١) -- يقول امير المؤمنين عليه السلام « والبصير منها متزود ، والاعمى  
لها متزود » .



« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً » (١١٠-الكهف).  
ويقول امير المؤمنين عليه السلام : وقد رجوتك دليلاً على  
ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة .

« الحمد لله الذى لا ارجو غيره ولو رجوت غيره لا خلف  
رجائى » .

« يارب ان لنا فيك أملاً طويلاً كثيراً- ان لنا فيك رجاء عظيماً  
(دعاء ابي حمزة الثمالي) .

اما التمنى فهو يستعمل غالباً ومع القرينة فى الامور الدنيوية،  
وقد يستعمل فى المعانى الصالحة ، مثل ما ورد فى الدعاء «وبلغنى  
مناى وحقق بفضلك أملى ورجائى » .

وهكذا تكون النتيجة ان كل هذه الالفاظ تستعمل فى الامل  
الصحيح فى نظر الاسلام وان كان الاخير غالباً ما يستعمل فى الامور  
الدنيوية .

بعد هذه اللمامة السريعة بالالفاظ ننتقل الى موضوع بحثنا  
الرئيس وهو استعراض روافد الامل ومقتضيات فعاليتها فى الاسلام .  
ومن الطبيعى ان نحاول التعرف على منابع الامل فى مجالين :  
الاول ، مجال العقيدة والثانى ، مجال القوانين والمفاهيم المبتنية  
على اساسها . ونحاول ان نبحث عن الروافد فى كل منهما على حده ،  
بعد الاشارة الى نكتة مهمة جداً فى البين هى :

## التوابط بين اجزاء الاسلام :

فاننا نضطر فى كثير من الاحيان لتجزئة الاسلام لاجل التوضيح والبرمجة فى البحث . فنبحث مثلا عن اهمية الاقتصاد الاسلامى واهمية النظام الجنائى وغير ذلك كل على حدة . وذلك على ما فيه من منافع قد يخل باعطاء الصورة الكاملة عن الاتجاه الاسلامى ، باعتبار ان هناك ترابطاً وثيقاً بين كل اجزاء الصورة الاسلامية العامة ، بحيث ان التجزي ، يخل قطعاً بها ، باعتبار ان كل ما تحويه العقيدة والتشريع والمفاهيم منطلق من زاوية تقييم واحدة ، وملحوظ فى الكل منها وجود الاجزاء الاخرى لكى تثمر ثمرتها الكبرى فى صياغة انسانية متكاملة .

وهكذا نحن هنا فى بحثنا يجب ان نلتفت الى التركيب بين روافد الامل فى العقيدة وفى المفاهيم لكى تتوضح لنا الصورة كاملة . ولا يكفى فى معرفة ذلك دراسة كل على حدة ، بل يجب ملاحظة كل جزء مفهومي مثلا فى اطار العقيدة التى يقوم عليها ، وفى جو المفاهيم الاخرى التى ترتبط به لنعرف ثراء ذلك الرافد .



## روافد الامل فى العقيدة الاسلامية :

يجد الانسان المتبصر فى العقيدة الاسلامية منابع عظمية للامل الواقعى المحرك المطلوب لكل سلوك .. . ونحن هنا سنستعرض انشاء الله موجزاً عن معالم العقيدة بما يرتبط وهذا العنصر ، بأسسها الثلاثة ، التوحيد والنبوة والمعاد ، وتفريعاتها . ثم نعقب ذلك ببحث حول القوانين التى يحدثنا القرآن عن انها تحكم هذا الكون بالاضافة للقوانين الطبيعية . ثم نستعرض النتائج التى يمكن ان نستخلصها بعد الوقوف على مثل هذه الامور واثراها فى رفا الامل المحرك عند الانسان .

### التوحيد :

وملخص نظرة المسلم الى الواقع الموضوعى<sup>(١)</sup> ، ان كل ما

(١) سنحاول هنا الخلط بين الصفات الذاتية والقولية لسبب موضوعى .

هناك فى الكون من موجودات وحوادث ، سواء كانت واقعة تحت  
الحس الانسانى او غير قابلة للوقوع تحته ، وسواء كانت فى اعماق  
المحيطات ، او فى آفاق السماوات ، ان كل ما فى الكون على العموم  
يرتبط بمرکز قوة واحد ، ومصدر عطاء واحد ارتباطا قويا جداً ،  
بحيث لا يمكن تصور الانفصال . بل يعتقد ان الكون كله انما هو  
مجرد ارتباط او وجودات حقيقتها الارتباط ، وواضح ان الوجودات  
الارتباطية لا تقوم الا بالوجود المستقل بنفسه المفيض على غيره ما  
يحقق وجوده وبقائه . ذلك المصدر الاعلى والمبدأ الاول هو الله  
تعالى الماسك بزمام الكون . وعند التفصيل أكثر والانتقال الى  
صفاته تعالى فان المسلم يعتقد على ضوء تعاليم الاسلام - ان الله  
خالق الجميع بلا فرق بين جنس و جنس ، وعنصر وعنصر ، وحى  
وغير حى ، وهورب كل الاشياء فى الكون . ( الحمد لله رب العالمين )  
فهو الاله للعالم . . وهو الاله الواحد المسيطر على كل فعاليات  
الوجود . فهو اله القدرة والبركة و البحر والصحراء وكل ما  
يتصور . وانه لا يتصور الارتباط القرابتى له مطلقا من نسبة ولد  
او زوجة او بنت له تعالى فنسبته الى الجميع نسبة واحد ، وهى  
نسبة الخالقية ، وهو مسبب الاسباب كلها ( الا له الخالق والامر )  
والمطلع على كل ذرة فى الكون . ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها  
الا هو ) . . وهو الاله الحى ، بمعنى ان حقيقته هي الحياة ( الله لا اله

الاهو الحى القيوم) فحياته هي علمه وقدرته. وهو الاله الابدى والازلى  
بمعنى انه فوق الزمان وفوق المكان ، وأنه الحقيقة المطلقة التى لا  
تتقيد باي منهما فنستبه الى الجميع واحدة(هو الاول والاخر والظاهر  
والباطن . . . ) .

وهو الاله القادر قدرة مطلقة ايضا بلا حدود . وهو الاله السميع  
البصير ، وهو الاله القيوم، والقهار والرؤوف الى ما هناك من صفات  
الكمال والجمال .

### فخلاصة الامر :

ان الله في الصورة الاسلامية ، هو الحقيقة المطلقة التى لاتحد  
قدرتها وعلمها وحياتها حدود .

وهذا يستلزم في النهاية ان يكون تعالى منزها عن كل قوانين  
المادة . فكيف تحكمه وهو خالقها والمادة معا ، فليس هو بمركب  
ولا قابل للتغيير . وهو غير محتاج للمكان والزمان . ولا تأخذه سنة  
ولا نوم .

وملخص الصورة، ان الكون كله محكوم لتلك القدرة الحكيمة  
الخالقة المسيطرة التى لا يعزب عنها مثقال ذرة : في الارض او في  
السماء .

## النبوة :

ويعتقد المسلم انه من خلال ضرورات كبرى تطرح مسألة النبوة نفسها وهذه الضرورات هي من أمثال :

ضرورة وجود القانون الذى يقوم بمهمة الحفاظ على المسيرة البشرية ، وتنظيم امورها وضمها فى درب واحد نحو تحقيق السعادة بأقصى درجاتها .

وضرورة كون هذا القانون محيطاً بكل جوانب الاحتياج البشرى ، وملائماً ومقيماً العدالة بينهما ، وهذا لايتأتى للانسان ، ومن هنا نبعت الضرورة للاستمداد من الخالق الجبار المحيط العالم بكل ذلك . وتبقى بعد ذلك ضرورة ان يبعث الله تعالى هذا القانون ويوصله الى البشرية ، مربيا اياها على مراحل وهذا كله بمقتضى لطفه ورحمته تعالى ، وهما من صفات الكمال .

واخيرا ضرورة ان تبعث الرسالة الى الانسان على يد افراد من البشر مؤمنين طاهرين ، يؤدونها بكل اخلاص بعد ان يتسلحوا بما يثبت للانسانية اتصالهم الغيبى وسفارتهم المقدسة عن السماء . وقلنا ضرورة ذلك ونحن نعى ما نقول ، اذ لايمكن ان يقود الانسانية الا افراد منها يعيشون معها ويقدمون لها النموذج الانسانى الافضل ، ومن هنا كان الاعتقاد بنبوة الانبياء الكرام عليهم افضل الصلاة والسلام .



كما ويعتقد المسلم ان الانبياء كلهم ، بعثوا الى غاية واحدة ،  
وهي تعبيد الانسان لله . بمعنى ان ذلك هو الواقع الذى يجب ان  
يسود البشرية ، لتبصر حينذاك طعم سعادتها الحقيقية ، سواء فى  
الجانب المادى او فى الجانب المعنوى وانهم ساروا بالتدرج مع  
الانسان يربونه على مراحل ، شيئاً فشيئاً . وتختلف عندهم النظم  
بمقدار قابلية انسان عصرهم ، ولكن الاسس واحدة ، وان اختلفت  
فى درجات توضيحها وتركيزها وفقاً للمستوى العقلى السائد فى كل  
مرحلة .

كما ويعتقد المسلم ، ان الاسلام هو الدين النهائى او الوصفة  
النهائية التى قدمتها السماء علاجاً لكل ادواء الارض بكل اجيالها  
وازمانها ، وان فيه ما يتكفل اىصال ركب الانسان الى غايته المنشودة .

### الامامة :

ويستمر المسلم الشيعى فى الخصوص بالاعتقاد بوجود اوصياء  
اثنى عشر اختيروا من قبل السماء وبمقتضى مؤهلات عقائدية وقيادية  
عالية منهم ، وان اراده . . الله شاءت ان تحفظ آخرهم من نقمة الظالمين  
فتمنحه بقدرتها الخارقة صفة الغيبة عن الانظار . فهو اذا المدخر  
لاحياء دين النبي ، وتقويم الشريعة ، واستثمار جهود الانبياء فى دولة  
العدل الكبرى فى اليوم الموعود ، محققاً بذلك كل الامال التى طمحت



اليهاكل الامم والملل .

وفي مجال صفات هذه السلسلة الطاهرة من لدن آدم ، يعتقد المسلم انها ايضا جامعة لكل صفات الكمال فى الاطار البشرى أى بمعنى انها تجمع صفات الكمال التى يمكن ان يتصف بها انسان بشر محكوم لكل قوانين المادة ، ولايفترق عن الباقيين الا باتصاله بالسماء .  
طبعاً على اختلاف فى مستوى الصفات الموجودة .

فههم الطاهرون المؤمنون الواعون المضحون ، بعيدو النظر القائمون على تبليغ رسالة الله للانسان، المحبون للانسانية العاملين على رفعتها ، ودفع ركبها نحو الغاية المنشودة من كل ذلك .

### المعاد :

ويعتقد المسلم بالمعاد كركن ثالث من اركان عقيدته . وملخص عقيدته فيه ، ان الانسانية ستنتهى من خلال مسيرتها الطويلة الى مرحلة اخرى من مراحل تكاملها بعد ان تطوى حياتها الحالية بكل ما فيها من سعادة .. وشقاء وخصائص اخرى وهناك التواب والعقاب العظيمان .  
هذه هي اصول العقيدة الاسلامية التى سنعرف فيما يأتى من بحوث دورها الكبير في مجال تنمية الامل الايجابى الفعال .

## الفصل الثالث

قوانين على اساس العقيدة :

مسألة القضاء والقدر

القوانين الاساسية :

الف - الحق سر الكون

ب - العدل يسرى فى انحاء الوجود

ج - الحب أطار العلاقات بين مختلف انحاء الوجود

ع - الرحمة بها انطلق هذا الوجود الكائن



## مسألة القضاء والقدر

في مطلع الاشارة الى بعض القوانين العامة المتحكمة في الكون ، نود ان نكون على ذكر من روح مسألة القضاء والقدر ، و خلاصة الامر انه قد شطت فيها الكثير من العقول ، وانقسمت لاجلها الاراء على طول خط الزمن الطويل ، فبين من فرضت عليه مسألة الايمان بعمومية قدرة الله تعالى وعدم تحديد مشيته في مورد ما ان يقول بالجبرية . مما كان له ابعث الاثار في عملية التقاعس عن مقارعة الباطل ، وشد أزر الاقوياء للتحكم بدماء الامة ، لحجة ان ذلك قضاء وقدر الهى ، وكذلك موت روح الابداع والتسابق نحو الخير . اذا ما الداعى لذلك والانسان محكوم لتلك القوة الجبارة المتحكمة . وبين من فرضت عليه مسألة الوجدان

القاضى بان الانسان مختار فى اعماله وليس مجبوراً على عمل اى عمل ، ان يقول بالتفويض الكامل ، وتحديد المشية الالهية .  
ومنهم فريق ثالث اقتصر على تخصيص آثار المشية الالهية فى خصوص ما عدا افعال الانسان الاختيارية .

ولا يهمنى هنا الا الاشارة لهذه الاقوال لنخلص الى أن الواقع الذى لا يقبل الرد هو ان المشية الالهية لها عموميتها ، وان الحرية الانسانية ايضاً لها وجودها ، على ان ارادة الله تعالى ارادت لنظام العلية ان يقوم بعمله خير قيام بنفس الارادة عينها التى خلق العالم بها . فجريان نظام العلية هو بنفسه تنفيذ للمشية الالهية .

فنفس هذه الارادة الالهية هى التى اقتضت ان يصدر العمل الانسانى بمقتضى اختيار الانسان . هذا هو الواقع الذى يؤيده الوجدان والدليل العقلى ، وهو الذى التزمته مدرسة اهل البيت عليهم السلام حينما اعطت رأياً فى هذه المسألة . كما أنه الذى فهمه المسلمون الاوائل ببساطتهم قبل ان تطغى عليهم الشبهات التى اثارتها الفلسفة المستوردة .

فلم يكن اعتقادهم بالقضاء والقدر ليمنعهم عن ان يسألوا الله خير قضاء وخير قدر ، وعن العمل والدعاء فى آن واحد .  
والذى يجب ان نلتفت اليه ايضاً فى المسألة ، هو النظر اليها من الزاوية الالهية الاسلامية :



وقيدت النظر بالالهية ، لانفى انحصار العوامل والعلل فى الكون بالعلل والعوامل المادية ، ولا ثبت - كما عليه النظرة الالهية - تأثيرات اخرى لعوامل معنوية لها اثرها الكبير فى تعيين المصير وذلك كما سيأتى فى مابعد . وقيدتها بالاسلامية ، لاجل ان أنفى ذلك التشويه الذي اصاب العوامل المعنوية فجعلها عوامل محدودة ، ولصالح طبقة معينة كما رأيناها مثلاً عند اليهودية .

ولكن من اين لنا ان نستقى ونتعرف على ماهية هذه العوامل المعنوية؟ لا طريق لنا الى ذلك الا ما يخبرنا به الوحي الصادق لانه منطلق من منبع الحقيقة، ومطلع على أسرار الكون التى تخفى بطبيعتها الاولى علينا معشر بنى الانسان .

والحقيقة ان القرآن الكريم يكشف للمسلم الكثير من هذه القوانين العامة ، والتى سنرى تأثيراتها فى عملية صياغة الامل الدافع الايجابى .

واننا اذ نعرض لبعض هذه القواعد ، لا ندعى اننا استكملنا الصورة التى يريد القرآن اعطائها عن الروابط فى الكون، او أننا احطنا بتمام العناصر الدخيلة فى نوعية القانون . وانما نتخذ صفة المشير الى هذا القانون ولو بشكل اجمالى لنحاول ان نعرض الى دوره فى صياغة ايجابية الامل .

## الف - الحق سر الكون

يقول الراغب في مفرداته - بتصرف - :

« اصل الحق المطابقة والموافقة كمطابقة رجل الباب في حقه

لدورانه على استقامة . والحق يقال على اوجه :

الاول : يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة . ولهذا

قيل في الله تعالى هو الحق (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) .

الثاني : للموجد بحسب مقتضى الحكمة . ولهذا يقال فعل الله

تعالى كله حق (وانه للحق من ربك) .

الثالث : من الاعتقاد بالشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في

نفسه . كقولنا : اعتقادنا فلان في البعث والثواب ... حق (فهدى الله

الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق) .

الرابع : للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب  
وفى الوقت الذى يجب . كقولنا : فعلك حق (حق القول منى لاملان  
جهنم) <sup>(١)</sup> .

ويمكننا ان نستنتج من مجموع هذه الاستعمالات ان الحق  
يعنى باختصار : الامر الواقع أو الواقعى .

ونقصد بالواقع : الموجود المتعين فى الواقع الموضوعى  
او العالم المستقل عن الصور الذهنية ، وبالواقعى الامر الذى يطابق  
مقتضيات الواقع الخارجى .

واروع انطباق للحق هو فى الذات الالهية باعتبار انها بلغت  
من الوضوح لى الفطرة الانسانية بحيث عاد الايمان بها ايماناً  
بديهيّاً فانوار الله تعالى قد غمرت الوجود فلم تعد تبصر الاله تعالى  
فى كل شىء ، لذا كان هو الحق الذى لا مرأى فيه والواقع الذى  
لا يشك فيه .

اما ما عداه تعالى من مخلوقاته وتشريعاته التى اسمها القرآن  
بالحق فهى - كما أرى - اكتسبت صفة الحق من وجهتين :

أ - من كونها واقعاً موضوعياً وهذا كما نشاهده فى قوله  
تعالى (يوم يقوم الناس بالحق) فيلاحظ هنا التأكيد على الاشياء  
الخفية عن حس الانسان واعطائها صفة كونها حقاً لتركيز الايمان بها .

ب - من كونها وجدت وفق مخطط الهى عام للكون ، كل جزء فيه ضرورى لسير الحركة الكونية ، ودخيل فى تحقق الغاية المرجوة من المخلق والتى ارادتها العناية الالهية منذ ارادت ان يكون فكان ، وفى هذا القسم الثانى تدخل كل الاشياء سواء كانت مخلوقات تكوينية او قوانين تشريعية . يقول تعالى :

« ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق » البقرة ١٤٦ .

« وهو الذى خلق السماوات والارض بالحق » الانعام ٣٣ .

« والوزن يومئذ الحق » الاعراف ٨ .

« هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق » التوبة ٣٣ .

« قل الله يهدى للحق » يونس : ٣٥ .

« وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » العصر : ٣ .

### ب - العدل يسرى فى انحاء الوجود :

رغم ان البحث الكلامى والجدل الذى دار بين الفرق الاسلامية كان ينتهى احيانا الى نتائج معينة ، يتغلب فيها انصار العدل حيناً ، وتقوى الشبهات فيغلب انصار رفض العدل حيناً آخر ، فانه مما لا شك فيه عند المسلم : ان العدل - باى معنى من معانيه - يبدأ بالعدل الالهى بمفهومه الاجمالى الذى حدثنا عنه القرآن الكريم ، وينتهى بتطبيقاته فى كل ذرة من ذرات الوجود .



فالعدل العام اذن فى اعتقاد المسلم قوة أخرى وعامل قوى من  
العوامل المعنوية ، التى تتدخل لصالح القضية العادلة فى الكون..  
والظلم بنفسه بشكل عاملا من عوامل الزوال والفاء ، بغض النظر  
عن العوامل الأخرى .

هذا بايجاز ملخص نظرة المسلم العامة ، ولا مجال للافاضة  
فيها أكثر ، فلنلاحظ الآيات التالية :

- « وأمرت لأعدل بينكم » الشورى : ١٥ .
- « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » النحل : ٩٠ .
- « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته » الانعام : ١١٥ .
- « وما ظلمناهم ، ولكن ظلموا انفسهم » هود : ١٠١ .
- « قال : لا ينال عهدي الظالمين » . البقره : ١٢٤ .
- « فتلك بيوتهم خاوية ، بما ظلموا » النمل : ٥٢ .
- « ان الله لا يظلم مثقال ذرة » النساء : ٤٠ .
- « ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك احداً » الكهف : ٤٩ .
- « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً » .
- الانبياء : ٤٧ .
- « لا ظلم اليوم » غافر : ١٧ .
- « شهد الله انه لا اله الا هو ، والملائكة ، واولوا العلم ، قائماً  
بالقسط » آل عمران : ١٨ .
- « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله »
- النساء : ١٣٥ .



### ج - الحب أطار العلاقات بين مختلف انحاء الوجود :

ومما يعتقده المسلم على ضوء القرآن الكريم: ان هناك اطاراً رحيماً عاماً شاملاً لكل انحاء الوجود ، وسارياً في مختلف انواعها ، فالعلاقات بين الخالق والمخلوقين يؤطرها الحب ، والعلاقات بين المخلوقين المتحدّي الهدف والمتأدبين بأدب السماء روحها الحب ، وحتى العلاقة بين المؤمنين فى الكون وبين اجزاء الكون التى لا تمتلك شعور الانسان ، حتى هذه العلاقة ، يحكمها الحب المتبادل . ومبررات هذا الحب واضحة تماماً على ضوء العقيدة الاسلامية وتعاليم القرآن ، فاذا بدأنا بالاطار الودى القائم بين الانسان وربّه ادر كنا اروع علاقة حب تتفاوت درجاتها ، من حب يقوم على المصلحة فى طرف الانسان ولكنه على اى حال حب جارف ، الى

حب خالص واع يعبر عن قمة في هذا المعنى ، انه حب الاوصياء  
المخلصين ، الذين ما عبدهو تعالى طمعاً او خوفاً .

والاسلام يمتلك خاصية أنه يبدأ بالاشياء ببداية بسيطة ، كأقامة حب  
يقوم على ذلك الاساس المصلحي، ثم يرتفع به الى مستوى يجعله  
جزءاً من كيان الانسان ، ودافعا ذاتيا يتحكم فى سلوكه ، ويوجهه  
لصالح القضية الانسانية العامة .

اما الحب من طرف البارى جل اسمه ، فهو وان كان يخلق فى  
نفوس السذج من المؤمنين نفس الايحاءات والتصورات البشرية  
من الحب بين الكائنات ، ولكنه فى الواقع : اسلوب تعبيرى عن  
القرب من العطاء الالهى والاختصاص بالرحمة والرضوان بصورة  
اكبر من ذي قبل . واننى قد اجزم بان الايحاء الاول حاصل حتى  
عند بعض أعمق المؤمنين بالله تعالى بالنظرة الاولى : وان هذا ايضا  
بتفسه مطلوب ومقصود . . اذ أن الحب حرارة ولوعة وشوق ،  
والنصوص القرآنية الكريمة تركز على عملية خلق الانفعال وشد  
العواطف للبارى عزوجل باساليب ، منها بل اعظمها الدوافع الناتجة  
من تصور الله تعالى يلقي بظلال المحبة على الانسان العابد . .  
ويمكن للقارئ الكريم التأكد من ذلك بمراجعة وجدانه الحاكم  
فى مثل هذه الموارد .

فالنصوص تثبت الحب لاصناف المؤمنين الواعين ، من امثال:

(المحسنين، التوابين، المتطهرين، المتقين، الصابرين، المتوكلين،  
المقسطين، الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص)  
والنصوص تثبت الحب بين افراد المؤمنين « يحبون من هاجر اليهم،  
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا » الحشر : ٩ .

والنصوص تربط بعلاقة الحب بين الانسان والطبيعة ، بعد ان  
يشعر الانسان بان الطبيعة مسخرة له ولصالحه هو ، وبعد الايحاء  
اليه بان يد العناية الالهية قد باركت في الارض أقواتها .

وقد ورد عن النبي العظيم صلى الله عليه وآله انه قال عندما  
رجع من غزوة تبوك وعندما أشرف على المدينة : « هذه طابة ،  
وهذا جبل احد يحبنا ونحبه »<sup>(١)</sup> .

كما عبر عن ذلك بأن « حب الوطن من الايمان » .

وهكذا ننتهي الى حلقة رائعة من حلقات هذا الحب ، جعلها  
القرآن بمثابة اجر للرسالة الاسلامية ، والجهود التي بذلها الرسول  
الاعظم في خدمة هذه الامة ، وهى حلقة ربط الامة كل الامة بأهل  
البيت الذين هم خير مؤهل لقيادتها نحو شواطئ الامان ، والذين  
هم سفن النجاة ، وباب حطة للعالمين « قل لا أسألكم عليه اجر الا  
المودة فى القربى » .

واخيراً ننتهى الى حلقة صغرى من حلقاتها ، وهى المودة القائمة

---

(١) - راجع سفينة البحار : ٦٦٨ .

بين الزوجين « وجعل بينكم مودة ورحمة » الروم : ٢١ .  
وتعتبر النصوص على جوانب النفي مكملة للنصوص الايجابية ،  
فان تلك النصوص تؤكّد تارة على انقطاع صلة الحب بين الله والعباد  
الذين خرجوا عن امر ربهم ، من امثال (المعتدين ، الكافرين ،  
الظالمين ، من كان مختالاً فخوراً ، من كان خواناً اثماً ، المفسدين ،  
المسرفين ، الخائنين ، المتكبرين ، الفرحين) .  
واخرى على انقطاعها بين افراد الانسان : الذين يهتدون بهدى  
الله والذين استزلهم الشيطان الى الكفر « لاتجد قوماً يؤمنون بالله  
واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله » المجادلة : ٢٢ .

### النتيجة

من مجموع هذا نستخلص هذه النتيجة :  
(ان المسلم يعتقد بأنه يعيش في عالم من الحب المتبادل) .  
ولهذه العقيدة تأثيرها الواسع الابعاد على خلق الامل في نفس  
الانسان : الامل الايجابي الدافع نحو سعاده ورفقه . كما سيأتى ان  
شاء الله .  
على أننا نعترف هنا بأننا لم نف الموضع حقه في نفسه، لكننا  
يجب أن نتذكر أننا لانبحث هنا عنه الابقدار ما يوضح لنا الصورة  
التي نريد أن نرسمها - فيما بعد - عن روافد الامل في ذهنية المسلم  
الفرد ، والمسلم الامة . . .

## د - الرحمة : بها انطلق هذا الوجود الكائن :

« بسم الله الرحمن الرحيم » .

هذا المقطع المبارك يعتبر اروع مقطع جامع يعبر عن سر العقيدة الاسلامية ، فقد وردت بعض الروايات التي تركز على ان القرآن جمع في سورة الفاتحة ، وان سورة الفاتحة جمعت في البسملة . . وعند تحليلنا لهذا المضمون لايسعنا الا أن نرى انها تشير الى : أن سورة الفاتحة انما اعتبرت روح القرآن باعتبار انها تحوى اصول العقيدة الاسلامية بصورة اجمالية ، والقرآن قد أطر كل شيء تحدث عنه باطار العقيدة .

اما اذا انتقلنا الى المرحلة الثانية ، فسنجد ان البسملة بنفسها شكلت روح العقيدة واساسها ، اذ ركزت على انطلاق كل شيء في



الوجود من اسم الله تعالى في مقطعها الاو ، وعن الاطار الذى تم بموجبه ذلك الانطلاق بمقطعها الاخير .

فالانطلاق « بسم الله » وموجبه : ( الرحمة التى لاحد لها ) . وهذه حقيقة نجدها متمشية في مختلف المواضع من القرآن الكريم ، معبرة عن مظهر من مظاهر الكمال في الذات الالهية ، مما خلق اعتقاداً راسخاً عند المسلم : انه منطلق من مصدر الرحمة ، و منته الى عالم الرحمة ، وسائر من كنف هذه الرحمة ، التى تتجاوز عن الكثير من موارد الانحراف التى تطرأ احياناً على سلوكه . . و سنجد عند استعراضنا لآثار الدعاء : الكثير من الاساليب التربوية العقائدية ، التى تركز على هذا الجانب ، فى الادعية المنقولة عن المعصومين عليهم السلام .

وفى القرآن الكريم نجد الكثير من الايات الكريمة التى تقرن صفة العزة الالهية بالرحمة ، وتنتهى بعبارة : « انه هو العزيز الرحيم » الدخان : ٤٢ .

او بعبارة: أنه « خير الراحمين » أو : « كتب على نفسه الرحمة » او : « وربك الغني ذو الرحمة » الانعام : ١٣٣ ، وهكذا الايات الشريفة : « فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة » الانعام : ١٥٧ . « ان رحمة الله قريب من المحسنين » الاعراف : ٥٦ . « فانظر الى آثار رحمة الله : كيف يحيي الارض بعد موتها » الروم : ٥٠ .

« قل: يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله »

الزمر : ٥٣ .

« الرحمن على العرش استوى » طه : ٥ .

وحتى فى أشد المواقف هيبه ورهبة تأتى صفة (الرحمن) :

(وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همساً) طه : ١٠٨ .

وهكذا يعتقد المسلم بعنصرين آخرين بالاضافة الى عنصري

الحق والعدل - اللذين يعنيان التوازن اول ما يعنيان - وهما: الحب

والرحمة ، اللذان يعنيان: الفضل من الخير والاعطاء فوق الاستحقاق.

## الفصل الرابع

القوانين والمفاهيم المتفرعة .

لا مكان للباطل .

النصر للمؤمنين .

العاقبة للمتقين .

العمل الصالح والسيئات .

التقدم المضاعف من قبل الله الى العبد .

الربط بين عالمي الغيب والشهادة .

نفي اليأس والقلق بشدة .

دور التوكل .

دور الدعاء .

دور التوبة .

دور الشفاعة .



عرفنا في الفصل السابق القوانين الاساسية المتحكمة في الكون ، وهي قوانين : ( الحق والعدل والحب والرحمة ) . وقد كان الايمان بهذه القوانين منبعاً للايمان بقوانين فرعية قد تركز على واحد منها او على اساس منها جميعاً ، فلنستعرض أهمها في ما يلي : -



## لا مكان للباطل :

اما فى الامور التكوينية ، فلانها لا تمتلك شيئاً من عناصر الاختيار، فلا معنى لوجود الخلق الباطل فيها بعد الايمان بحكمته المطلقة تعالى .

واما فى الامور التى ترجع الى سوء فعل الانسان وتصوراته وايحاءات الشيطان ومغوياته ، فالباطل وان كان متصوراً أن يسود فى بعض الازمان ، أأنه سيكون نشازا على الطبيعة الكونية، وعلى الطبيعة الانسانية ، وهذا النشاز سيظل يؤتى ثماره الفضيعة فى حياة الانسان مالم يعمل على اذابته والرجوع الى الامر الحق الذى يطابق الفطرة الانسانية ويتلاءم مع الطبيعة العامة وقوانينها. وهذا الامر لن يعلم بالطبع الا من قبل الوحي الاى من خالق هذا الكون، والمطلع على نوااميسه ، ومن هنا قال تعالى : « قل الله يهدى للحق » .

« أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع ، أمن لا يهدي الا أن يهدى ؟ ! . » .

فالكون - اذن - بتنظيماته : ضد الباطل الذي حدده لنا المطلع على حقائق الامور « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » الاسراء : ١٨ والملاحظ في تعبير «زهوقاً» : انه يعنى ان الاصل فى الباطل الفناء والزوال ، وذلك مما يقوي الامل في القضاء عليه . ومن هنا ايضاً تتوضح فكرتنا عن قوانين اخرى فى طول هذه الحقيقة .

## النصر للمؤمنين :

وهذه قاعدة نرى في كثير من المواطن التأكيد عليها من قبل القرآن والنصوص الشريفة . وهي تقرر ان الله تعالى يتكفل ايصال المؤمنين الى النصر والفوز وتحقيق الامال ، ان كانوا هم الذين بدأوا المسير ، واخلصوا النيات ، واستهدفوا ما يعبر عنه القرآن بنصر الله ، وهو تعبير جميل عن نصرة الحق ، وهي عملية رفع التنافر بين القانون والسلوك الاعتباري وبين الواقع الطبيعي العام، وارجاع الجزء النافر الى حيز المسيرة المتوائمة المتوازنة .

وهكذا تطالعنا الايات القرآنية الشريفة التالية :

« يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم »

محمد : ٧ .

« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا » غافر: ٥١ .

« ان ينصركم الله فلا غالب لكم » آل عمران : ١٦٠ .

« ولينصرون الله من ينصره . . ان الله لقوى عزيز » الحج: ٤٠ .  
« وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » آل عمران: ١٢٦ .  
أن الاسلام يعتبر مسيرة الانسان منذ انطلاقتها حتى نهايتها مسيرة  
واحدة ، ويقيس على اساس من هذه الوحدة كل العوامل الدخيلة  
في تحقيق الغرض العام ، وهو التكامل . بل نستطيع ان نتجاوز هذا  
الاطار الانساني الى الاطار الكونى العام فنُدعي : ان الكل يمتلك  
ذلك الهدف العام ويعمل على تحقيقه . ولذا فكل انسان ساهم  
فى الدفع نحو ذلك الهدف العظيم منتصر على المدى الطويل وان  
اعتبر منهزماً فى فترته الموقته ، ويحق له بذلك ان يعتبر نفسه  
اينما كان منتصراً منذ الان ! ان سلسلة المؤمنين عبر التاريخ كلها  
تشترك فى اي عمل رسالى يقوم به فرد من هذه السلسلة فى اي زمان  
كان ! ومن هنا نستطيع ان نفهم قولة الامام امير المؤمنين ، وذلك  
لما أظفره الله باصحاب الجمل فقال له بعض اصحابه : وددت ان  
اخى فلاناً كان شاهداً ، ليرى ما نصرك الله به على اعدائك؟ فقال له  
عليه السلام : « أهوى اخيك معنا ؟ فقال : نعم . قال فقد شهدنا ،  
ولقد شهدنا فى عسكرنا هذا اقوام فى اصلاب الرجال وارجام النساء  
سير عف بهم الزمان ، ويقوى بهم الايمان » (نهج البلاغة : ٥٥) .

## العاقبة للمتقين :

بعد ملاحظة قانوني الحق والعدل ، يستطيع الانسان ان يدرك بوضوح هذا القانون القرآنى العظيم الذى يجسد آمال البشرية الخيرة : فى وصول النخبة الممتازة - اخلاقياً ، وعقائدياً- الى منصة القيادة ، وامتلاكها العاقبة الحسنة فى النهاية الطيبة .  
فالقرآن الكريم يصرح :

« أن الارض لله ، يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين»

الاعراف : ١٢٨ .

« والعاقبة للتقوى » طه : ١٣٢ .

« أفلم يسيروا فى الارض فينظروا : كيف كان عاقبة الذين من

قبلهم » محمد : ١٠ .

وهذا ما بدت تباشيره تلوح فى الافق، فقد رأينا العالم اليوم



يحاول ان يعود - ولو بحياء - الى تعاليم الاسلام العظيم، بعد ان  
جرب كل النظم ، وسلك مختلف المسالك البشرية ، وذاق صنوف  
العذاب والالم ، وضاق من التركاض في مسارب التيه ! .

ان تباشير العودة تلوح فى أقوال القادة والمفكرين الداعين  
لدارسة العقيدة الاسلامية والتشريع الاسلامى بعمق ، والاستفادة من  
كنوزهما الثمينه ! . والامر يحتاج بعد ذلك الى أن نعي الواقع  
العالمى القائم اليوم ، ونعي اسلامنا بعمق ، ومواقفه من المشاكل  
العالمية المعقدة ، ونقوم بنبذ كل لهو داخلى، لاجل الاعداد لحملة  
توعية للعالم ، والاستعداد لامتلاك ازمتته بصورة ليست بالصعبة ،  
بعد ان افلس النظام الغربى ، والذي يعترف بانه لا يجد بديلا له  
الا فى الاسلام ! . وبعد كل هذا فالامة يحق لها أن تنتظر القائد الذى:  
يظهر فيملا الارض قسطاً وعدلا .

## العمل الصالح ، والسيئات :

ان القيام بالعمل الصالح الايجابي نفسه يشكل احد ابواب سعة  
الامل عند المسلم بعباء الله تعالى . فبالاضافة للابواب المفتحة  
السابقة اعتبر الاسلام القيام بالحسنة طريقا من طرق الرجوع الى  
الله ، ليؤكد عفو الله وغفرانه ، ويعمل على محو السيئات من سجل  
اعماله الماضية ، فينجيه من تبعاتها وعواقبها ، وأقل ذلك ما كانت  
سوف تؤدي اليه من موقف مخز . يوم تجتمع الخلائق في ظل  
حساب الله و « يوم تعرضون لانتخفي منكم خافية » .

فاذا تم محو السيئات والسوابق السوداء ، انطلق الانسان المسلم  
بصحيفة ناصعة البياض ، غير قلق ولا متوان ، وبكل أمل ، ليحيا  
حياة العمل الصالح في سبيله وسبيل مجتمعه والانسانية جمعاء .  
والايات التي تتعرض لهذا الجانب على نوعين :

## النوع الاول :

ما يظهر منه أن الاتيان بالحسنة والعمل الصالح لا يقتصر تأثيره على محو السيئات الماضية، بل يقوم - بأذن الله - بتبديل السيئات الماضية الى حسنات! وهذا مما يشعر الانسان المسلم برحمة الله الواسعة التي قابلت كل هذه الاساءة - ومنها الشرك بالله ، وهو اعظم السيئات - بهذا الفضل العميم ، فحولتها الى حسنات ينال عليها اجر ، كما لو كان فعلها من قبل واقعا! يقول القرآن الكريم في معرض صفات المؤمنين : « والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق اثمًا، يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهانًا، الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفوراً رحيمًا ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى الله متابا » الفرقان: ٦٨-٧١.

## النوع الثاني :

ما يبدو منه ان الاتيان بالحسنة يعمل على محو السيئة فقط، اما التبديل فلا تتعرض له .  
ومنها: « وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل . ان الحسنات يذهبن السيئات . ذلك ذكرى للذاكرين » هود : ١١٤ .

ومنها فى صفات المؤمنين : « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ،  
واقاموا الصلاة ، وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، ويسدروون  
بالحسنة السيئة ، اولئك لهم عقبى الدار » الرعد : ٢٢ .  
فقد نقل صاحب (مجمع البيان) عن ابن عباس انه قال : انها  
تعنى . . « يدفعون بالعمل الصالح السيء من العمل » .  
كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله قوله لمعاذ : « اذا  
عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها » .  
كما أن هناك قولاً بانهم يدفعون اساءة من اساء اليهم بالاحسان .  
وقولاً بانهم يدفعون بالتوبة معرفة الذنب<sup>(١)</sup> .  
فاذا عرفنا وجود هذين النوعين . من الايات فكيف التوفيق  
بينها ؟ ذكروا للجابة وجوها :

### الاول :

ان يقال : بأن الايات كلها تشير الى حقيقة واحدة ، هى ان العمل  
الصالح والحسنات تربي النفس الانسانية على الفضيلة والاستقامة ،  
مما لا يدع مجالاً للسيئات فى حياة الانسان ويتوضح ذلك خصوصاً  
اذا لاحظنا ان آية : « ان الحسنات يذهبن السيئات » اوردت فى سياق  
امر النبى صلى الله عليه وآله بالصلاة .

---

(١) ٢٨٩ ج/٦ من المجمع .

كما ان ورود عبارة « يدرؤون » تشير الى أنهم يدفعون السيئات قبل ورودها ، فالدرء والتدرى : هو الدفع ، كما عن (شرح غريب القرآن ص ١٦٩) وكما تعنى فى الاستعمالات التالية : « ويدرأ عنها العذاب » « ادرؤوا الحدود بالشبهات » « ادرؤوا عن انفسكم الموت » وغير ذلك .

ومن الممكن : المناقشة فى هذا التوجيه بان يقال : أن الظاهر هو كون الايات تشير الى السيئات السابقة : وان كنا لا نمانع فى ان تكون شاملة لما سيتكون من حالة نفسية ، ففى آية « اولئك يبدل الله . . . » جاء تعبير التبديل ونسب هذا التعبير الى الله ، مما يبدو منه انه من مختصاته تعالى ، وهذا ينطبق اول ما ينطبق على الذنوب المسجلة التى يكون رفعها بيده تعالى ، خصوصاً والسياق سياق توبة وانابة عن الشرك وباقى المعاصى .

اما الدرء بمعنى الدفع ، فالظاهر انه يشمل دفع المعاصى الثابتة - اذا تخلصنا من مصطلح الدفع الفلسفى المتأخر - . ويعتبر الحديث الشريف المذكور ، وفهم ابن عباس لذلك : مؤيداً لهذا الظهور . اما تعبير « ان الحسنات يذهبن السيئات » فلا مانع منه هنا ، لانه تعبير عن لطف الهى وقاعدة عامة ، خصوصاً اذا لاحظنا آخر الاية : « ذلك ذكرى للذاكرين » ولاحظنا أمثال هذا المورد ، من مثل :



« ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » أو : « لقد تاب الله على النبي . . . » وغير ذلك . واخيراً فان تعبير « يذهب » يؤكد لنا انها تعمل على اذهاب السيئات التي كانت حالة بالشخص .

### الثانى :

أن يقال : ان الايات كلها تشير الى الذنوب السابقة ، ولاتنافى بينها . فان بعضها يشير الى مرتبة معينة ، والاخر يشير الى المرتبة الاعلى منها .

الا انه يمكن النقاش فى هذا التوجيه : باعتبار اننا اذا اعتبرنا وحدة المؤثر فلماذا عدلت الايات الى الاشارة الى بعض الاثر ، وهى فى مقام الترغيب والحث الذى يستوجب اعطاء الاثر بكماله؟

### الثالث :

هو ان يقال : بأن آية التبديل تركز على انه اثر العمل الصالح المدعوم بالتوبة والايمان ، فى حين ان الايتين الاخيرتين تشيران الى اثر العمل الصالح بنفسه ، وانه يعمل على درء السيئة واذهابها .

### الرابع :

أن يقال : ان ذهاب السيئات يعنى حصول الاهلية لرحمة الله

وفضله الواسع، فتشمله وبالتالي يمكن القول بان : الحسنات يملأن  
محل السيئات .

وعلى أية حال ، فان ذلك باب من الفضل يبعث الامل بالمستقبل،  
ويحیی الانسان المذنب من جديد حياة الصالحين العاملين في سبيل  
الحق .

## التقدم المضاعف من قبل الله الى العبد .

وهذه حقيقة أخرى تبعث الانسان على العمل ، والامل بالخير العميم الذى سينتجه هذا العمل . وذلك لانه يشعر بأنه كلما تقدم الى الله تعالى خطوة تقدم الله اليه ميلا ! وما ان يبذل جهده فى سبيل الحقيقة اى حقيقة كانت فان الله تعالى سيفتح الطرق امامه ... فلا مانع اذن من اقتحام العقبات والمصاعب ، ولا داعى لليأس من الحصول على المراتب العالية ! لان الانسان ليس متروكاً لوحده فى الطريق، بل ان قوة الله تعالى ووعدته لايسنداناه فى سيره فحسب بل يوفران له النتائج المضاعفة ، ان فى هذه الدنيا أو فى الآخرة، وكلاهما مجال يمكن أن يعود على الانسان بالعطاء ، وان اختلفت درجة العطاء من عالم الى آخر .

يقول تعالى: «والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا» العنكبوت: ٦٩

« من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله اجر كريم »

ويقول تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها » .

وغير ذلك مما يفتح للانسان المسلم يوماً بعد يوم آفاقاً للامل

جديدة .

## دور الربط المستحكم بين عالم الغيب والشهادة

وتعتبر هذه الظاهرة من ابرز الظواهر التي امتازت بها التعاليم الاسلامية . فبعد ان يعترف الاسلام - بمقتضى واقعيته - بظاهرة تأثر الانسان بمحسوساته اكثر منه بمعقولاته ، يعمل بشتى الاساليب على خلق التوازن بين التأثير بكلا الجانبين ، وعلى التقريب بينهما ، بمعنى ان يقرب الامور المعنوية الى التجسيد الحسي . وليس هنا مجال استعراض اساليب الاسلام الفكرية والعملية فى ذلك . ولكن نقول : ان تلك الاساليب من شأنها ان تجعل المسلم يتأثر بالمعقول ويتفاعل معه بما يقرب من تأثره بالمحسوس فهو اذن يبصر عالم الغيب ويلاحظ رحمة الله وتقديره ملاحظة تعبر الظواهر . وهو يشعر بالقوانين المعنوية كقوانين الدعاء والشفاعة تماماً كما يشعر بالقوانين المادية .



فالإسلام لم يكتفِ بآثار نتائج العمل الصالح في عالم الآخرة، بل تجاوز ذلك واثبت ان العمل الصالح - وهذا هو مقتضى العقل - سيعود بالخير على الانسان نفسه في هذه الحياة الدنيا .

يقول تعالى على لسان نوح عليه السلام : « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم انهاراً » ويقول تعالى : « ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء » .

في حين تربط الآيات الأخرى بين الانحراف الفكري والضياع العملي، فتقول الآية الكريمة : « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا » . وهذا الربط الوثيق يعطى الأمل طاقة دافعة بتقريبه الى الحس الانساني ، اذ يبدو وكأنه يراه عياناً فيسعى له اشد السعي ويتشوق له اشد الشوق .

وآية ذلك ما قاله امير المؤمنين عليه السلام في وصف المسلمين الصادقين المتقين : « فهم والجنة كمن قدر آها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون . . . » .

اذن فما نريد التأكيد عليه هو أن هذا الهدف التربوي للمسلم له تأثيره البارز ايضاً في جعل الأمل اكثر فعالية وقوة .

## نفي اليأس والقلق بشدة :

وهذان الامران هما الحالتان النفسيتان اللتان تخلفان حالة الامل، وتستتبعان عكس ما نتوقعه من الامل من آثار . فبين الكفتين ارتفاع وهبوط . ومن الواضح انه اذا اردنا تقوية كفة الامل فان ذلك يجب ان يكون بتقويته ومنحه ابعاده الواقعية ، وبالقضاء على كل اسباب اليأس والقلق . ونحن اذا رجعنا الى ما ذكرناه سابقاً عرفنا ان جذور هاتين الحالتين المضادتين قد عولجت علاجاً حكيماً . فلماذا اذن تعمداً ذكرهما في هذا الموضوع ؟ وما هو الجانب الاضافي الذي يمكنه أن يبرر ذلك ؟

اعتقد أن الجانب الاضافي يكمن في انه بالاضافة الى علاج الاسلام لهما علاجاً جذرياً، وفتح أبواب الامل الواقعي على مصراعيتها

فانه تمر حالات خاصة بالانسان - على اختلاف فى المستويات -  
يتأثر فيها بموقف حسي معين ، وحالة حرجة لامفر منها . . . فيغفل  
عن كثير من تلك الجوانب، ولربما يصل به الامر الى اليأس ! وهنا  
يأتى دور تحريم اليأس تحريماً باتاً ، لينفى عن الانسان المسلم فعلا  
هذه الحالة ، فتقول الاية الكريمة « ولا تيأسوا من روح الله ، انه  
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » (يوسف : ٨٧) فالتعبد  
اذن يقتضى قبل كل شىء عدم اليأس ، وبعد ذلك تعود النفس الى  
حالتها الاولى وتقبل تأثيرات عوامل الامل مرة ثانية .

ولامعنى للقول : بان هذا الفرض لا يجتمع مع الايمان الكامل،  
اذ مقتضى ذلك : الكون على وعى دائم .

فانه لاعمومية لذلك ، بعد أن دلنا الوجدان على ان الانسان  
ضعيف على أي حال ، وان علا كثيراً فى مرتبته المعنوية .  
وقد يكون متعلق اليأس هو الموضوع الخارجى، كأن يستيئس  
انسان من هداية انسان آخر ، كما حدث للرسل حين استيأسوا  
وظنوا انهم قد كذبوا فجاءهم نصر الله ، يوسف : ١١٠ .  
فهذا وان لم يكن يأساً من روح الله ولكنه يأس على اى حال،  
ويجب ان ينتفى من حياة الانسان وخصوصاً حملة الرسالة .

اما الملقق فهو في الحقيقة ناشىء من عوامل مختلفة ، كعدم المأمن  
الروحي ، والمرور بالاحداث الكبرى ، ونمو روح التشاؤم، وغير

ذلك من العوامل، كالعوامل الاقتصادية . وقد عالج الاسلام كل تلك  
الاسباب ، فافقد الانسان مبررات اليأس أولاً ، وركز على جانب  
الاطمينان القلبي بذكر الله ، فعلم كل ذلك دفعاً للانسان نحو العمل  
بكل ثقة في سبيل تحقيق آماله .

## مفهوم التوكل :

فإن القرآن الكريم يركز في خلد المسلم أن يكون في كل اموره متوكلا على الله تعالى . . والتوكل الصحيح لايعنى تلك الصور الجامدة التي تنطبع في ذهن البعض ممن أصابهم داء الكسل والانطواء من المسلمين ، أو ممن يتصورون ذلك . كلا . . وانما يعني الاستمداد المتصل من الله تعالى والالتجاء اليه في كل مشكلة تعترض طريق الانسان ، وطلب العون منه تعالى ومن تعاليمه الخالدة. أنها صفة موضوعية وسيكولوجية في آن واحد ، فهي موضوعية من حيث احتوائها على عنصر الالتجاء الى ابحساءات السماء ، والتمسك بعصم الحق .

وهي سيكولوجية من حيث شدها لروحية الفرد المسلم



ونيته بالسماء و تقويتها واشعارها بأنها ترتبط باقوى القوى فى العالم .

ان هذه الصورة عن التوكل تبعده عن التواكل ، حتى تجعلهما على طرفي نقيض ويمكننا ان نركز النظر في الايات الكريمة التي التي جعلت التوكل أحدالعوامل الرئيسية المؤثرة فى تغييرالحوادث، لنشاهد كيف انها قرنت التوكل بالايمان تارة ، وبالعزيمة اخرى ، وبالعبادة عموماً تارة ثالثة، وبالصبر فى مكان آخر ، واخيراً ربطت بين حب الله والتوكل كجزء من عملية الربطالعاطفي بين الله والعباد والمتقين، كما وضحناه عند حديثنا عن اساس الحب فى العلاقات بين الكون وخالقه .

فلنراجع اذن هذه الايات لنستجلي ما قلناه :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » الطلاق : ٣ .

« وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون »

الشورى : ٣٦

فاذا عزمتم فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » .

آل عمران : ١٥٩ .

« واليه يرجع الامر كله ، فاعبده ، وتوكل عليه » هود : ١٢٣

« و دع اذاهم ، وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلاً »

الاحزاب : ٣ .

فالتوكل على الله اذن عامل رئيسي في ايصال الانسان الى  
مطلوبه ، والتوكل كما سبق صفة من صفات الانسان الواعى  
لمركزه في الكون ونوعية علاقاته بالسماء ، والذي يصفه القرآن  
بـ« الانسان المتقي » .

## الدعاء

وواضح أن في مسألة الدعاء بحوثاً كثيرة لن نتعرض منها إلا إلى ما يرتبط بعنصر الأمل، وإشباعه وتركيزه وتأجيجه . ثم نتعرض في بحث ضوابط الأمل إلى نظرة الشريعة إلى الدعاء المنتج، وإلى أثر الدعاء نفسه في خلق ضوابط محدودة للأمل لئلا يخرج عن حده. قال تعالى في محكم كتابه الكريم :

« وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون » البقرة : ١٨٦ .  
وقال تعالى : « وقال ربكم ادعونى استجب لكم » غافر : ٦٠ .  
وقال تعالى : « قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم » الفرقان : ٧٧ .  
والله تعالى كما يقول القرآن : « سميع الدعاء » آل عمران : ٣٨ .  
والآيات كثيرة فى هذا الصدر .

والمبتدأ من الدعاء عموماً وحسب مفهومه الدينى هو الوقوف أمام الله تعالى بخشوع وخضوع ، ونفى كل الحجب بينه وبين الله ثم عرض حاله وما مر به من مصاعب ، وطلب المدد منه تعالى فى إصلاح ذلك ، والاستزادة من الخير الدينوى والاخرى .

والدعاء يخدم الأمل كجزء من الغرض الدينى بأمرين : طبيعته ومستلزماتها ، ومضامينه . فان الدفع نحو هذا المعنى ، والتأكيد

على ان يقف الانسان امام خالق الكون العظيم بخشوع واجلال ،  
وايكال الامر اليه ، واستمداد العون منه يعنى :

### أ - التجسيد لكل المعنويات

ان الايمان بالله تعالى وقدرته اللانهائية وعلمه اللامحدود  
ورحمته الواسعة ، يزداد رسوخا في النفس الانسانية من خلال  
الدعاء .

وذلك لان موقف الداعي يحول الايمان من فكرة الى تجسيد  
عملي ، وخطاب حي موجه ، وانتظار حي للفرج . . اذ واضح ان  
كثرة مثل تلك المواقف تحول التوحيد من عقيدة فكرية الى شيء  
واضح ملموس ، فهانا حاساً أقف امام رب السماوات والارض الذي  
يعلم بموقفي ، والرحيم بي ، والقادر على أن يحقق مطلبي الذي  
يعجز عن تحقيقه غيره « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه  
لا يستجيبون لهم بشيء ، الا كباط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو  
ببالغه ! وما دعاء الكافرين الا في ضلال » الرعد : ١٤ .

ويضفى القرآن على هذا الموقف صفة الرحمة عندما يعبر  
« واذا سألك عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان »  
البقرة : ١٨٦ .

وواضح ما تنشره هذه الصفة من حرارة في حنايا النفس ،  
واطمئنان بالنتيجة المطلوبة ، وبالتالي السعي الحثيث لتهيئة المعدات

اللازمة لتحقيقها . وعليه : فان فتح باب الدعاء والحث على القيام به ، يركز عطاء العقيدة بكل تفاصيلها التي مرت بنا ، تماما كما يركز كل القوانين القرآنية الاخرى الالفة .

### ب - تلبية الحاجات الطبيعية الغريزية للانسان

وواضح ان أى اشباع مهذب لاية حاجة طبيعية ، لها اثرها الفعال في خلق التوازن في شخصية الانسان ، وصياغته انسانا هاديا واعيا لواجبه في الحياة ، نافية عن حياته كل تأرجح بين اشباع هذه الغريزة او تلك .

ولاجل أن نوضح: كيف ان الدعاء بطبيعته يلبي بعض الحاجات النفسية للانسان - نلتفت الى حالتين نفسييتين وجدانيتين هما :

### اولا - جوع الانسان للحنان

كما يعبر عنه احد كبار الكتاب اذ يقول : « فهناك حالات يشعر الانسان فيها - أمام قسوة الحياة ، وضغط المشاكل ، وتراكم الازمات الداخلية والخارجية - بحاجة الى التعبير عن الالام التي تمزق ذاته ، والمشاعر التي تجيش في نفسه، دون أن تجرح كبرياءه وهنا يأتي دور الدعاء الذي يسمح للانسان ان يتنفس بكرامة ومحبة، وللروح ان تنطلق بعزة وحنان، فينتفح قلب الانسان على ربه، وينطلق



بروحه الى الله حيث السلام والطمأنينة ، والحياة الوادعة الرضية  
المطمئنة ، التي تجعل الانسان يغفو على هدهدات الامل ، عبر لفتات  
الرحمة ونبضات الرضوان»<sup>١)</sup>.

فالانسان مهما ابتعد عن الله تعالى ، ومهما غطت بصيرته الغشاوات  
وظن في نفسه انه اقوى القوى ، فانه تمر به لحظات يحس معها تماماً  
بضعفه ، وخصوصاً اذا انقطعت حيلته من كل الوسائل المادية .

ان الفطرة حينذاك ستفتح ، وتنفض عنها غبار النسيان ، وتوجه  
الى الله تعالى القادر المطلق . . . ومن هنا كان هذا الموقف من  
الادلة الفطرية التي تقود الى الايمان به تعالى . . . كما انه من هنا  
نستطيع ان نقول : ان الدعاء امر فطري للانسان ككل ، فضلاً عن  
كونه امراً طبيعياً للانسان المؤمن بالله ، والايات القرآنية التالية  
تكشف لنا عن ذلك المعنى حينما نقول : « واذا مس الانسان الضر  
دعانا لجنبه او قاعدا او قائماً » يونس : ١٢ « قل من ينجيكم من ظلمات  
البر والبحر ، تدعونه تضرعا وخيفة : لئن انجانا من هذا لنكونن  
من الشاكرين » الانعام : ٦٣ .

« فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم  
الى البر اذاهم يشر كون » العنكبوت : ٦٥ « واذا مس الناس ضر دعوا

---

(١) مجلة الهدى العدد الاول - السنة الثانية - مقال بعنوان : الدعاء في

شهر رمضان للحجة السيد محمد حسين فضل الله .

ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فریق منهم بریهم یشر کون»  
الروم : ٣٣ « واذ اغشیهم موج كالظلل دعوا الله مخلصین له الدين»  
لقمان : ٣٢ .

والملاحظ ان التعبيرات عامة خصوصاً عبارة « واذ مس الناس»  
ولاتختص هذه الحالة بالمؤمنين وانما تورد احتجاجاً على المشركين  
ايضاً .

وما اروع تعبير الاية القرآنية عند ما تصف حالات الانبياء  
الذين كانوا يستمدون العون من الله في كل آن ولحظة وخصوصاً في  
لحظات الشدة .

فعلى لسان زكريا يقول تعالى : « رب اني وهن العظم مني ،  
واشتعل الرأس شيباً ، ولم اكن بدعائك رب شقياً » وعن موسى  
عليه السلام : « ثم تولى الى الظل فقال : رب اني لما انزلت الي  
من خير فقير » وعن نوح عليه السلام قوله : « فدعا ربه اني مغلوب ،  
فانتصر » .

### وثانياً : مقتضيات الضمير :

فمهما قيل او يقال حول الضمير ، أهو غريزة فطرية ؟ ام هو  
استعداد نفسي لتقبل الصفات الانسانية ؟ ام هو نتيجة تربية بيثوية  
معينه ؟ فهو على اى حال موجود في النفس الانسانية ، او هو موجود  
فى أغلب النفوس . . . وهذا الضمير يشكل المحكمة الداخلية

المحاسبة الدافعة نحو الاعتراف بالذنوب والجرائم ، وتلمس سبل تداركها .

هذه حقيقة ، والحقيقة الاخرى هي ان الانسان بطبيعته يحتاج لامحالة الى من يشاركه اسراره ، ويشكو اليه ما الم به من صعاب حتى يزيع بعض الهم عن صدره .

وبفعل هذين الدافعين نجد الانسان محتاجاً لعملية الدعاء والمناجاة مع الله العظيم دون غيره ، ومحتاجاً لان يشكوهمه وحزنه وغمه فيخفف عن كاهله «انما اشكو بثي وحزنى الى الله » يوسف: ٧٦ . فخير ملجأ لهذا الانسان وذاك : هو الله تعالى لاغير ، وذلك لانه تعالى لن يكشف ذلك السر وتلك الجريمة على الملائكة من قبس سترته « كما ان ذلك سيكون طريقاً للعفو عن الجريمة او رفع المحنة .. هذا بالاضافة الى ان الانسان امام الله يشعر بحرية بتحليل دوافعه ، بعيداً عن العوامل الخارجية . واخيراً يشعر الانسان مع الله بانه ينطلق من ذاته فينقدها بلا ضغط خارجي .

### ج - منح السند النفسى لتحقيق الامل :

وهذا الامر جدير بالذكر في مجال معطيات طبيعة الدعاء ، اذ ان الداعي بتصوره لعظمة الله تعالى وقدرته واحاطته ، وانه ضمن له الاجابة « وضمنت لي الاجابة » بقوله تعالى « ادعوني استجب

لكم» - بتصوره ذلك- يكون اكثر اطمئنانا وثقة بأمله . ولذلك فهو بالتالى يسعى بكل جهده لاجل الوصول اليه، شاعراً باسناد الله له، وذلك أمر لاشك في اثره . . . وكم اكد علماء النفس على مسألة تربية الدافع النفسي والانشداد العاطفي بالهدف لكل هادف، سواء كان في مصنع ، او ارض يفلحها ، او مجتمع يصلحه .

وهكذا رأينا أن الدعاء بذاته وطبيعته باب يجد الانسان فيه راحته النفسية ، وتفتح امامه - بعد ولوجه - آفاق من المستقبل المشرق ، مودعا عالمه المظلم السابق ، اذ يعيش في رحابه تعالى، تتركز في اعماقه معالم التوحيد ... يعترف بذنوبه متخلصا من عقاب الضمير ، فضلا عن عقاب العقل . . . ويشكوه همه وحزنه ليتبدل القلق واليأس الى امل مشرق وضاء .

كل هذا كان من طبيعة الدعاء . ولكن الاسلام لم يكتف بأن فتح باب الدعاء ، وانما علم قادته الانسان المسلم ما يدعوه به، ووضع ضوابط لتلك الحالة وانتاجها .

اما الضوابط فتأتي في محلها ، واما المضامين التي يدعو بها المسلم فان في مجالها حديثا طويلا ممتعا ، ولكن بحثنا لا يحتمل منه الا المقدار الذى يتصل مباشرة بالامل ، والا فكل المضامين تقريباً تؤدي الى تنمية الامل وضبطه ، وان كان ذلك بطريق غير مباشر .



ويمكن ان نعطي مضمون الدعاء في تنمية الامل وتأجيجه دور المؤكد لكل العوامل الاخرى ، التي تحدثنا عن تأثيرها في خلق الامل ، من مختلف الجوانب العقائدية، والمفاهيم الاسلامية الاخرى . ان الدعاء بمضامينه الواردة عن اهل البيت عليهم السلام يقوم بتركيز تلك الامور وتوضيحها وتصحيحها، وبيان مقتضياتها على لسان نفس الداعي ، مما يشكل نوعا من انواع التلقين الواعي للعقيدة الصحيحة . . . . والتنبيه الى مستلزماتها الفردية والاجتماعية .

### دعاء الامام الحسين

فدعاء الامام الحسين عليه السلام يوم عرفة ، يبدأ بتركيز العقيدة : « الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع ، ولا لعطائه مانع ، ولا كصنعه صنع صانع ، وهو الجواد الواسع » ... الى أن يقول: « اللهم اني أرغب اليك ، واشهد بالربوبية مقراً بانك ربي واليك مردي . . . » ثم يستعرض النعم التي انعمها تعالى بشكل لامثيل له ثم يقول: « صدق كتابك - اللهم - وانباؤك ، وبلغت انبياؤك ورسلك . » ومن ثم ينتقل لمستلزمات ذلك الايمان ، طالبا توفيق الله له ليقوم بها : « اللهم اجعلني اخشاك كأنني اراك ، واسعدني بتقواك ، ولا تشقني بمعصيتك ، وخرلي في قضائك . وبارك لي في قدرك ، حتى لا احب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت . . . » .



ثم يلقن الانسان بأن يدعو الله تعالى لكي يحقق له ذلك التوازن  
الرائع بين اشباع جانبيه المادى والمعنوي . وفي ذلك ما فيه من  
نفي للقلق ودفع نحو الغاية : « اللهم اجعل غناى في نفسى ، واليقين  
في قلبي ، والاخلاص في عملي ، والنور في بصرى ، والبصيرة في  
ديني . واجعل سمعي وبصري الوارثين منى . وانصرني على من  
ظلمنى . . . واجعل لي الدرجة العليا في الآخرة والاولى » .

والحقيقة ان الانسان ليجد الخطوط العريضة في المجال العقائدى  
والاخلاقى والتربوى موجودة في تلك الثروة الهائلة من الادعية .  
ولذا فانه يستطيع ان يعطي الدعاء دور المؤكد والموضح لكل  
تأثيراتها التي مر شرح علاقتها بالامل .

## التوبة والغفران وتأثيرهما في فتح ابواب الامل :

التوبة : من مجموع المعاني المذكورة يعرف : ان معناها اللغوى هو الرجوع ، ومن هنا جاءت التعبيرات التالية كما في (مجمع البحرين - مادة التوبة) : « انه كان تواباً » : التواب : الله تعالى يتوب على عباده ، ولفظه من صيغ المبالغة ، اى : رجاع عليهم بالمغفرة . . والتواب من الناس الراجع الى الله تعالى . . « قالت : اني تبت اليك » أي رجعت الى معرفتى بك عن جهل .. « واليه متاب » اى مرجعى ومرجعكم . والتوب والتوبة الرجوع من الذنوب . وفي اصطلاح اهل العلم : الندم على الذنب لكونه ذنباً . وفي الحديث : الندم توبة « ووافق على هذا الاصطلاح الراغب . والسذي نرى ان بعض استعمالات التوبة تخرج عن

اصطلاح اهل العلم، الذي لا بد وأن يكون معتمداً على الاستعمالات الشرعية .

الغفران : « الغفر : الباس ما يصونه من الدنس ، ومنه قيل : اغفر ثوبك في الدعاء . واصبغ ثوبك ، فانه اعفر للوسخ . والغفران والمغفرة من الله هو : أن يصون العبد من ان يمسه العذاب . والاستغفار يعنى أيضا : طلب محو النتائج المترتبة على الذنب ، وهو المتبادر من اللفظ » .

والمتمحصل : ان التوبة تعنى الرجوع . والاستغفار يعنى : طلب التحصين تارة ، وطلب نفي الاثار أخرى . ولربما يطعم هذا بطلب التحصين . فهما - اي التوبة والاستغفار - من العبد ، والتوبة والغفران من الرب : أمران منشدان الى بعضهما .

ومن هنا جاءت الايات الكريمة : « افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ؟ والله غفور رحيم » المائدة : ٧٤ . « فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله توابا رحيمًا » النساء : ٦٤ . « وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ، يمتعكم متاعا حسنا » هود : ٣ .

والتوبة بالنسبة الى الله مظهر عظيم من مظاهر الرحمة الالهية التي تتجاوز العدل الى الاحسان ، فالعدل يعنى ان يحاسب المجرم ، وأن يثاب المحسن بمقدار عمله ، في حين أن المسلم من خلال قرآنه يعتقد بان الله تعالى بمقتضى احسانه يرجع على العبد ويتوب عليه ،

فاتحأله سبيل الرجوع اليه تعالى ، غافرله ذنوبه ان تحققت الشرائط ،  
أي فاتحاله سبيل التوبة الى الله ، منقذا أياه مما أوقعه فيه هواه ، سادأ  
ابواب اليأس وفتحأ أبواب الامل .

قال تعالى : « ثم تاب عليهم ليتوبوا » .

ولاجل تحديد تأثيراتها في بث عنصر الامل في المسلم يجب  
ان نحددها بنحو الاجمال ، ويتم ذلك التحديد اذا لاحظنا النقاط  
التالية :

### النقطة الاولى - التوبة للمطيع والعاصي معاً :

عندما يقال تاب شخص ، فان من المتبادر اليه : انه كان قد  
اذنب ذنبا ثم رجع الى الله فطلب منه الغفران ، ولكن مورداستعمالات  
التوبة في القرآن تعم هذه الحالة والحالة الاخرى وهى : مرحلة  
اللجوء الى التوبة لاجل تحصيل الاقربىة من الله ، اذكلنا يعلم ان  
القرب منه تعالى على درجات ومستويات ، والتوبة احدى المقربات ،  
فلا يشترط في التوبة والرجوع الى الله ان يكون عن ذنب .

ومن هنا نعرف سر توبة الانبياء ، المعصومين عن الزلل والذنب .  
ومنه قول آدم : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » .

وقول موسى عليه السلام : « سبحانك تبت اليك » .

وقول تعالى : « لقد تاب الله على النبي ، والمهاجرين ، والانصار

الذين اتبعوه في ساعة العسرة ، من بعد ما كذبناهم ،  
ثم تاب عليهم ، انه بهم رؤوف رحيم » التوبة : ١١٧ .  
« فاستقم كما امرت ومن تاب معك » « ويتوب الله على المؤمنين  
والمؤمنات » .

ويمكن القول بان التوبة تعنى تحركاً نحو الاقرب فالاقرب  
دائماً منه تعالى من جانب ، وانفتاح السبل امام المسلم للوصول  
الى كماله في كل آن - بالتقرب منه تعالى ، وبلطف منه - من جانب  
آخر ، ومن هنا جاءت الاية الشريفة : « وتوبوا الى الله جميعاً -  
ايها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

ومن هنا كان وصف الله تعالى نفسه بانه : « غافر الذنب قابل  
التوب » . كما أنه من هنا نجد ان من اول اوصاف المؤمنين التوبة  
في قوله تعالى : « التائبون ، العابدون ، الحامدون ، السائحون ،  
الراكعون ، الساجدون » التوبة : ١١٢ .

والذى يبين لنا هذا المعنى بوضوح : اطلاق عبارة «التواب»  
على المولى - جل شاناه - والعبيد ، كما في قوله تعالى : « الا الذين  
تابوا واصلحوا وبنوا ، فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم »  
البقرة : ١٦٠ .

« فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً » « ان الله يحب  
التوابين ويحب المتطهرين » البقرة : ١٢٢ .



فماذا تعنى عبارة التواب من العبد؟ هل تعنى الاذئاب ثم الرجوع المتكرر؟ كلا بالطبع ، وخصوصا اذا لا حظنا عبارة « ويحب المتطهرين » ، انها تعنى في الظاهر : ذلك الشعور والاحساس الذى يدفع العبد المؤمن دائماً وفي كل لحظة لان يستغل الابواب المفتحة للرحمة الالهية والتواب الرحيم ، لكى يدخلها ، محققا مقتضيات التوبة : من العمل الصالح والنية الحسنة ، وبالتالي متقدما نحو الكمال بدافع من امله العظيم بالله . يطلب منه تحصينه ضداغواءات الشيطان .

والنتيجة : هي ان التوبة لها جوانب متكاملة :

### أ - الجانب الاول :

وهو جانب رفض اليأس ، وفتح ابواب الخلاص من عذاب الضمير للمذنبين العاصين .

فان الانسان الذى قاده هواه الى الانحراف اذا وجد نفسه في عز انحرافه وقدصحت ، ورأى آثار الانحراف وانبه ضميره ، وثارت في نفسه معانى الخوف من الله قبل كل شىء ، وهو الجبار ذوالعذاب الاليم ، ثم من المجتمع فرأى أمامه مستقبلا مظلماً مكفهداً ، هذا الانسان يبدأ بالتفكير في الرجوع والاصلاح . وعندما يلتفت السى الخلف فانه ان وجد طريق الرجوع مغلقاً ولا مجال للخلاص فسيكون

امام اختيارين لاثالث لها :

فاما ان يبقى فريسة الخوف والمهم والتمزق والندم الذي لا فائدة فيه ، ويكون بالتالى انساناً خائر القوى ، معذب الضمير ، واهي النشاط وعضوا مريضاً معقداً ، ان لم يتضرر المجتمع منه فلا فائدة فيه مطلقاً ، وهذا اهون الشرين ، واما أنه ، ونتيجة للموقف الحرج الذى وجد نفسه في مرارته يتخذ مساراً حاقداً ، بعد ان يتصور نفسه محروماً من عطف المجتمع وعطف الله تعالى فيصب جام غضبه ويصعد من عملياته الاجرامية ، ويسير في طريق الانحراف حتى يبلغ منتهاه معوضاً بذلك عن هذا النقص تعويضاً سلبياً عنيفاً، والنتيجة هي خسران المجتمع واعاقبة المسيرة الانسانية المتكاملة .

فالنتيجة : على كلا الحالين هي التعويض السلبى وان اختلفت درجاته . ولكن الاسلام لم يدع هذا الانسان فريسة اليأس والضياع وأمامه مجال عمل طويل ، اذ فتح له ابواب الرجوع الى الله واحدة بعد الاخرى من الدعاء والتوبة والاستشفاع .

فالتوبة - ان تمت مقوماتها - تنقذ العبد من وساوسه وتعيد له الامل بالمستقبل الزاهر الذي تصوغه له رحمة الله ، وترجعه للمجتمع عضوا صالحا فعلا يعمل على رقيه وبنائه ، بعد أن كان يعمل على انحطاطه وانهدامه .

## ب - الجانب الثانى :

جانب الاستزادة من القرب .

فالانسان المسلم مطلوب منه ولو على نحو استكمال النفس ان يستغفر الله فى كل آن ويتوب اليه ، فمن اعظم المستحبات الاستغفار فى كل آن، وخصوصاً عند الصلاة ، والروايات فى ذلك كثيرة .  
وواضح أن التلفظ تلقين للنفس بالسعى نحو تحقيق امل القرب منه تعالى ، الذى لايعنى - فى منعكسه الاجتماعى - الا التكمال فى المعرفة ، وما يتبع ذلك من التكمال فى الجوانب الاجتماعية . وما اروع ان يعيش الانسان وفى عينيه - فى كل لحظة - بريق امل بتحقيق الاحسن ، وتوبة تدفعه نحو تحقيق متطلبات حصول ذلك الاحسن فى كل مجال . ولربما كان هذا هو السر فى جعل الفلاح هو الغاية من التوبة فى قوله تعالى : « وتوبوا الى الله جميعاً - ايها المؤمنون - لعلكم تفلحون » النور : ٣١ .

## ج - الجانب الثالث :

جانب التحصين ضد اغراءات الشيطان .

أن التوبة كما تقدم يصاحبها طلب الغفران، وطلب الغفران يعنى طلب التحصين من كل ما يمكن ان يرد على النفس الانسانية من

مغريات ووساوس شيطانية ، كما يعنى طلب محو الاثار التى انتجتها لحظات الانحراف السابق .

ان فتح باب طلب الغفران يعنى ان العبد يتصور نفسه يمتلك الاطمئنان والثقة بالمستقبل ، وبتحقيق الهدف ، بعد ان طلب من القوة العظمى فى الكون ان تصونه من كل العوائق التحريفية ، والوساوس الشيطانية ، التى تزرع فى طريق تكامله الاشواك والعقبات . والثقة بتحقيق الامل من اكبر العوامل المؤثرة فى منحه صفة الجذب نحوه . ويتضح هذا المعنى جيداً اذا تلونا الاية القرآنية الشريفة : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلاً » وكذلك الاية « وما كان لنا ان نأتىكم بسلطان الا باذن الله » .

فالسلطان الكامل لله تعالى . واولياء الله لاخوف عليهم - مما ينافرهم - ولاهم يحزنون على فقد ما يلائمهم ، وليس هناك اى تأثير للشياطين على من منحهم الله غفرانه . فليعملوا مطمئنين واثقين وليسيروا نحو هدفهم ، فلهم بالتالى احدى الحسنين .

### النقطة الثانية :

التوبة الاسلامية تركيز لمعنى الارتباط المباشر بين المولى

والعبد :

ان هذا الرجوع الى الله لا يحتاج فى مقوماته الى توسط شخص



او مكان او ظاهرة طبيعية ، مهما كانت هذه الاشياء من العلو . انه رجوع مباشر من العبد الى المولى وعملية ندم خالصة لا يعلم بها الا هو وربّه . نعم هناك موارد تزيد من عمق اثر التوبة فى النفس ، وتركز معنى الرجوع . وذلك اذا كانت التوبة لله أمام ولى من اوليائه الصادقين ، وفى مكان مقدس من امكنته ، ولكن كل هذا ، لاجل تركيز التوبة . اما اصل التوبة فانها تتحقق بشكل مباشر وبلا تدخل أية ارادة لاي انسان آخر فيها ، اذا كانت فى نفسها واجدة لبعض المقومات التى سنتحدث عنها فيما يأتى من نقاط .

فاذا كانت التوبة كذلك فهى اذن تجعل الاتصال المباشر بالله امرأ محسوسا به فى الحياة . وهذا المعنى يمكننا ان نضيفه الى تلك الجوانب السابقة حيث تتكامل جميعاً فى خلق الانسان الواعى العامل الساعى للقرب من الله فى كل آن ، الشاعر بالاتصال المباشر بالقوة العظمى التى فتحت له برحمتها ابواب الخير .

ولكن الذى دعانا الى فصلها فى نقطة مستقلة هو عرض صفة مميزة للتوبة الاسلامية عن اساليب الغفران فى الاديان المحرفة اليوم ، وذلك كما ترى فى طقوس الغفران المسيحية . والنقطة الرئيسية فى الافتراق هو الوثنية الشخصية فى تلك الاديان ، والاخلاص الكامل للعقيدة الالهية التنزيهية فى الاسلام . اذ اننا بملاحظتنا لتلك العملية ، واساسها المبتنى على خرافة الفداء المسيحى ، وطقوسها



التي طورتها المصالح الكنيسة ، والخرافات المضافة من قبل الاباء  
الروحيين ، وكيف يزداد الاجر المالى لتحصيل رضا الاب كلما  
ازداد عظم الجريمة ، فان لم يرض الاب فلا غفران ، وكيف كانت  
الكنيسة تبيع صكوك الغفران للعاصين ، بملاحظة ذلك نعرف :  
ان سر الفرق هو: ان التوبة بمفهوم تلك الاديان رضا عبد عن  
عبد يستتبع رضا الله، بل قل يفرض رضا الله: وهو الشرك الصريح! اذا  
كان ذا موضوعية لا كاشفا عن رضا الله ، وهو روح ما نراه منهمم !  
فى حين ان التوبة بمفهومها الاسلامى - كما مر - لا تتطلب أي توسيط  
مطلقاً .

### النقطة الثالثة

التوبة المقبولة .

وهذه النقطة نؤجل التفصيل فيها الى بحث ضوابط الامل ،  
وسنعرف ان شاء الله : ان التوبة المقبولة هى التوبة النصوح .  
وفى معانى النصوح قيل : انها التى تنصح الناس ، وقيل: التى  
تنصح العبد، وقيل: الخالصة لوجه الله، وهو الظاهر من قوله تعالى :  
« توبوا الى الله توبة نصوحاً » وسئل الامام عنها ، فكتب عليه السلام:  
« ان يكون الباطن كالظاهر » .

وهذا الحديث يوضحها تماما ، اذ تعنى التوبة النصوح ذلك

الرجوع الذى يصاحبه العزم على المعنى فى الطريق الاكمل، وتجنب الطرق الاخرى . ومن هنا فان بعض انواع التوبة لم يكن لائقا للقبول ، وذلك فى مثل من تحدثنا عنهم الايتان الكريماتان :

« الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم »

آل عمران : ٩٠ .

« ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً

لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً » .

اذ ان اولئك الذين تأصل فيهم العناد لا يتصور فيهم النصح ومطابقة

الظاهر للباطن، وان حصل رجوع فهو انما يعبر عن موقف عاطفى

غير اصيل في النفس . وكذلك فى مثل فرعون الذى تاب عندما

ادركه الغرق :

« حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به

بنو اسرائيل وأنا من المسلمين » .

ولكن المقطع الاخر يردده بقوله تعالى «آلان وقد عصيت قبل؟»

يونس : ٩٠ .

وكذلك الاية الشريفة ترده بقوله تعالى :

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم

الموت قال : اني تبت الان » النساء : ١٨ !

وسياتى مزيد من التفصيل فى هذه النقطة فى البحث المذكور.

## الشفاعة ، ودورها كمؤكد للعفو والغفران ، ودافع نحو الاسراع فى تحقق الامل

وهذا المفهوم قد اعطى فى القرآن بصورة اجمالية مع تحديدات  
معينة ، وفصلته الروايات كثيراً .  
فقد جاء فى القرآن الكريم :  
« يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا »  
طه : ١٠٩ .

« وكم من ملك فى السماوات لاتغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد  
أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » النجم : ٢٦ . « من ذا الذى يشفع  
عنده الا باذنه » البقرة : ٢٥٥ .

« ولا يشفعون الا لمن ارتضى » الانبياء : ٢٨ . « لا يملكون الشفاعة  
الا من اتخذ عند الرحمن عهداً » مريم : ٨٧ . « ولا يملك الذين يدعون  
من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون » الزخرف : ٨٦ .

و فى الحديث الشريف بسند صحيح عن الامام الصادق عليه السلام يقول سماعة : « سألته عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة ؟ قال عليه السلام : « يلجم الناس يوم القيامة العرق ، فيأتون الانبياء العظام واحداً بعد واحد حتى ينتهوا الى النبي صلى الله عليه وآله ، فيعرضون انفسهم عليه ، ويسألونه - أي الشفاعة - فيقول : انطلقوا فينطلق بهم الى باب الجنة ، ويستقبل باب الرحمن ويخرساجداً فيمكث ماشاء الله ، فيقول الله عز وجل : ارفع رأسك ، واشفع تشفع ، وسل تعط . وذلك لقوله تعالى « عسى ربك ان يبعثك مقاماً محموداً »<sup>(١)</sup>.

وروى الصدوق عن طريق الاعمش عن الامام الصادق عليه السلام قال : « اصحاب الحدود مسلمون لا مؤمنون ولا كافرون ، فان الله تعالى لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة ، ولا يخرج من النار كافراً وقد وعده النار والخلود فيها ، ويغفر دون ذلك لمن يشاء . فاصحاب الحدود فساق . . لا يخلدون فى النار ، ويخرجون منها يوماً ، والشفاعة جائزة لهم ، وللمستضعفين ، اذا ارتضى الله عز وجل دينهم » .

وروى العياشى باسناده الى عبيد بن زرارة قال : « سئل ابو عبد الله عليه السلام عن المؤمن هل له الشفاعة ؟ قال : نعم فقال له رجل : هل يحتاج المؤمن الى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله

(١) بحار الانوار ج ٨ ص ٣٦ .

يومئذ؟ قال : نعم ان للمؤمنين خطايا وذنوباً ، وما من احد الا يحتاج الى شفاعه محمد يومئذ .

الى ما هنا لك من الروايات الكثيرة .

والذى يهمنا أن نذكره اجمالاً - ويترك البحث في اثباته تفصيلاً

الى محله من بحث الشفاعه العام - هو ما يلي :

١ - الشفاعه تعنى : استغفاراً ودعاء من الشافع لله تعالى

كسى يحقق مقصود المستشفع ، سواء فى ذلك تحقيق أمل أو

غفران ذنب .

وانما كان ذلك الاقتران بين دعاء الشافع ودعاء المستشفع ،

نظراً لنقص وسيله المستشفع وعجزها عن البلوغ الى المقصود -

ولو فى تصويره هو - فيقرنها بمقام الشافع ليتم المقصود .

٢ - يمكننا ان نتصور نوعاً من الشفاعه غير شفاعه الاستغفار ،

فهنا نوعان من الشفاعه :

### النوع الاول :

ما يمكن أن نسميه شفاعه العمل ، أو شفاعه الارتباط بالقياده .

### النوع الثانى :

ما يمكن ان نسميه شفاعه الغفران ، وقد يتفرع على سابقه .



## اما شفاعة العمل :

فتختص بمجال النجاة ، ونيل الحسنات وعلو الدرجات في الآخرة ، في حين لاتصل الى مجالها الشفاعة الثانية . وهذا مايمكن أن يكون تفسيراً للحديث الشريف: «ادخرت شفاعتى لاهل الكبائر من امتى ، اما المحسنون فليس عليهم من سبيل » .

## ونعنى من شفاعة العمل او الارتباط :

ذلك التجسد والتجسم الذى يحصل يوم القيامة للروابط المعنوية القائمة فى الدنيا ، كما ربما تحدثنا عنه الايات الكريمة « يوم ندعو كل أناس بامامهم » « يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار » .

فالتبعية آنذاك تتجسد ويكون النبي صلى الله عليه وآله شافعاً لعلي عليه السلام وهكذا تتسلسل الشفاعة ويكون الحسين عليه السلام شافعاً بلا واسطة اكثر من غيره .

وعلى هذا حملت شفاعة القرآن فى قوله عليه السلام «القرآن شافع مشفع ، وماحل مصدق » .

فالعامل الاساسي في هذا النوع هو العمل وليس هذا النوع محل اشكال .

٣- ان شرط شمول الشفاعة للانسان هو شرط شمول المغفرة ، وهو قابلية المحل ، والايمان : « لا يغفران يشرك به » . فى حيسن يبقى علم باقى الشروط عند الله لاجل ان تبقى القلوب بين الخوف والرجاء .

٤ - ان امر الشفاعة اولا واخير أبدأ من الله تعالى ، فهو الذى يجب أن يعين الشفيح ، والا كانت الشفعاء كما قال تعالى : « ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآبؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان» النجم : ٢٣ . فالنظر يكون فى الشفاعة متوجهاً الى الله : « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » . النساء : ٦٤ .

٥ - الشفاعة وجه من وجوه الرحمة الالهية التى رأيناها تتمثل من قبل فى قبول الدعاء وقبول التوبة ، وسنراها متمثلة فى أساليب اخرى ان شاء الله تعالى .

بعد توضيح كل هذا ، يتوضح دور الشفاعة فى اعطاء عنصر الامل فعالية وقوة ، وتركيز الاطمئنان بتحقيق الامل . ويمكن أن نرجع تأثير الايمان بالشفاعة فى هذا المجال الى اربعة أدوار :

الف - دورها فى عملية فتح باب الرجوع عن الانحراف .

ب - دورها فى عملية الاطمئنان بتحقيق النتيجة من تحقق درجة

قريبة او حاجة او مطلب دنيوى .

ج - دورها فى عملية ايجاد نوع من الجزاء للعاملين على تحقيق الاهداف الكبرى .

ع - دورها فى عملية خلق الاتصال بالشافع وتأطير الامل فى حدود اهداف الشافع .

### اما الدور الاول :

فقد مر بنا : ان التوبة تقوم بنفس هذا الدور وهو فتح ابواب العودة الى الطريق الصحيح ، وتحويل العناصر المنحرفة الى عناصر فعالة لصالح السير الايجابى للمجتمع ، وتخليصهم من عذاب الضمير والقلق الذى هو اقل ما ينتج من الانحراف .

فما معنى الشفاعة اذن اذا كانت التوبة والدعاء هى الباب المفتوح؟

وعند الجواب عن هذا السؤال نود أن نؤكد على أنه :

١ - لتكن الشفاعة بابا آخر من ابواب الرجوع الى الله .

٢ - ولتكن للشفاعة فوائدها الاخرى من مثل ما سياتى من انها تخلق

نوعا من الربط الشديد بالشفيع ، مما يحقق اهدافا كبرى تشترك فى

صنع الهدف العام للخلق ، ففتح باب الشفاعة لفوائد خاصة تماماً

كفتح باب الدعاء لفوائد اضافية كما مر بنا سابقاً .

ومن جملة الفوائد: ما يمكننا ان نفترضه من أن الانسان المنحرف

قد يصل به الامر مرحلة يتصور معها ان توبته لن تقبل ، وان دعائه لن يستجاب نظراً لعظم جرمه . وعلاج هذه الحالة سوف يمكن باعطائه اشعاراً حسيماً بأنه سيقترن مع طلبه ودعائه طلب من مقام عظيم وجيه عند الله تعالى . . . وهذا المعنى يمكننا ان نلاحظه بوضوح في اساليب طلب العفو التي تعلمها الادعية المتفرقة. فهي تلقن الداعي ان يعيش آفاق عظمة محمد وآل محمد ، ويطلب منه تعالى ان يصلى عليهم باللسنة متعددة تحمل معها كل معاني الارتباط بهم، ومن ثم تلقنه ان يستشفع بهم من عظيم الذنب وكبر الانحراف، ولا نزيد في التوضيح بهذا المجال على ما مر بنا سابقاً .

### واما الدور الثانى :

فواضح ان الاستشفاع بالانفس الطاهرة المقربة منه تعالى : وبنص منه تعالى على الاستشفاع بهم لاجل تحقيق آمال الانسان ، سواء كان ذلك من حيث القرب الى الله تعالى وتحقيق درجة اعلى من الرضا الالهى المطلوب، او من حيث تحقق الامانى والامال فى السعادة والنصر وحل المشاكل ، هذا الاستشفاع له تأثيره فى خلق اطمئنان بالنتيجة ، وهو يعطى الامل دفعاً لاجل ان يهيبه الارضية المساعدة لتقبل التأثير .



## اما الدور الثالث :

فيتمثل - كما سبق - في اعطاء العاملين في سبيل الهدف نوعاً من الجزاء ، فقد وردت الاحاديث الكثيرة في ان المؤمن يشفع في خلق كثير بأمر الله ، وتلك امنية عظيمة للانسان المؤمن ان يقوم بالاستشفاع لانقاذ من يرتبط بهم بنوع من الارتباط ، وذلك اليوم يوم الجزاء والفرز الاكبر . ولعمري ان هذا المقام الذي يعطيه الله للمؤمن هو من اعظم انواع الجزاء تأثيراً في نفسه ، وتحريكاً لحب ذاته في سبيل خدمة المجتمع والعقيدة ، والتضحية في سبيلها بكل غال ورخيص .

وهنا تتخذ الشفاعة نفسها دور الامنية ، فتبعث على العمل لتهيئة الارضية المساعدة للحصول على ذلك الشرف الكبير .

## واما الدور الرابع :

واخيراً فان الشفاعة في (دورها الرابع) تخلق ذلك الارتباط العاطفي الواعي ، المؤطر باطار عقائدي بالشفيع ، اذ تركز منزلته لديه ، وتجعله يقتفي اثره . وهذا المعنى له تأثيره في اعطاء الامل صبغة الشفيع ، ونعني بذلك اعطائه الصبغة التي يرضاها الشفيع تبعاً لرضا الله تعالى ، مما يضمن لنا املاصحيحاً واعياً . وسيأتى حديث حول هذه النقطة في بحث ضوابط الامل ان شاء الله تعالى .  
وهنا يمكن ان نضيف الى الموقف تأثير تصور النوع الثاني



من الشفاعة (وهو شفاعة العمل) فى خلق الاحساس والشوق الكبير  
للدخول فى موقف التبعية المسجد ، فى ذلك اليوم الذى « تذهل  
فيه كل مرضعة عما ارضعت » فينجو من تبعاته ، اذ يدخل فى الوفد  
الذى تحيطه عناية الرحمن ، ويقوده الشفعاء الذين يضللهم الرضا  
الالهى . والرضوان آنذاك اقصى ما يتصور من العطاء والنعيم :  
« ورضوان من الله اكبر » .

## الفصل الخامس

ضوابط الامل



رأينا فيما مضى من حلقات : أن الامل محرك اساسى للانسان،  
وانسه كلما علا مستواه ارتفعت طاقة دفعه . وان الاسلام يمتاز على  
سائر ماعداه بانه يغرس في اعماق الانسان الامل الكبرى التي تضرب  
الى غاية البعد (الخلود) من جهة ، وتحفظ بواقعيته من جهة اخرى،  
وان وسائل تنمية الامل ، استمدت من العقيدة والمفاهيم الاسلامية  
فعاليتها وتأثيرها .

والان نحاول أن نتعرض الى الضوابط التي يعطيها الاسلام  
للامل لئلا ينقلب على أهدافه ، ويحتفظ بما قلناه من التطابق مع  
الواقع ، وواضح أن الاسراف والافراط فيه، وعدم وضوح معالمه  
لاشك يؤديان بالانسان الى عواقب لاتحمد .

ان وعي متطلبات تحقيق الامل أمر يجب توفره دائماً عندما  
يراد الانسياق لتحقيقه . . . فكيف اوجد الاسلام ذلك ؟

لا ريب في أن الإسلام يجعل الهدف الذي يعني تحقيقه تحقيق كل الآمال الأخرى « رضا الله تعالى » فحسب ، باعتبار أن رضا الله عن العبد يعني أن العبد استطاع أن يحصل على المكانة اللائقة به في الواقع ، وبالتالي فإن ذلك سيحقق له أبعاد الآمال .

ورضا الله تعالى . . . يعني أنه سيسعد العبد بسعادة واقعية في الدارين : الدنيا والآخرة ، ولكن السعادة الدنيوية لا يمكن أن تقاس إلى سعادة الحياة الأخرى ، لأن الحياة في هذه الدنيا تظل محجوبة عن الواقع الكثير ، في حين تكون تلك الحياة في قلب الواقع ، ولذا جاء القرآن الكريم ليقول « وان الدار الآخرة لهي الحيوان » و « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ولذا فإن الهدف الأكبر والتجلي الباهر لرضا الله سيكون في الآخرة « ورضوان من الله أكبر » .

ومن هنا فقد جعلت الحياة الأخرى الهدف الأكبر في حين امتلكت الحياة الدنيا نصيباً من الاستهداف ، وتحقيق المتع المادية قسطاً من الدوافع « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » وهذا النصيب الذي امتلكه تحقيق المتع المادية يوطر بدوره بأطار الآخرة ، وينظر إليه كمرحلة لا كهدف ، ولذا يعبر الإمام عليه السلام عن ذلك بقوله : « من أبصر بها بصيرته ، ومن أبصر إليها أعمته » أو « نعم العون على الآخرة الغنى » أو « البصير



منها متزود ، والاعمى لها متزود » .

وبعد سبر نظرة الاسلام الى المتع المادية نجد ان القسم الطبيعي منها لم يجد محاربة من الاسلام ، بمقتضى واقعيته واطلاعه على حقيقة النفس الانسانية ، الا أنه - اي الاسلام - حاول أن يجعل المسلم الكامل انساناً أطر كل حياته بأطار الآخرة والتقرب الى الله تعالى ، فى حين وقف بحزم ضد الافراط فى المتع المادية وشدة التأثير بذلك الامل الرخيص ، والوقوع فى أسره ، وخصوصاً اذا تجلّى فى خلد الانسان أملاً طويلاً يستنفد كل طاقاته ، فانه أمر يحاربه الاسلام ويحذر الناس منه وينبههم الى عواقبه الوخيمة .

وقد دعا الى تحقيق الزهد دعوة شديدة ، والزهد لا يعنى الا التحرر من أسار هذه الامال الرخيصة التي ينظر اليها نظرة استقلالية . وحذر من طول الامل - بهذا المعنى الذي لا يستند فيه الى خلفية أخروية - وذلك فى نصوص كثيرة : منها الايات القرآنية الشريفة :

« ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل » الحجر : ٣ .

« أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة

الدنيا » القصص : ٦١ .

« ان يعد الظالمون بعضهم بعضاً الا غروراً » فاطر : ٤٠ .

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . والله يعدكم مغفرة

منه وفضلا والله واسع عليهم « البقرة : ٢٦٨ .

كما أننا نجد طائفة كبيرة من النصوص المرتبطة بهذا المجال في « نهج البلاغة » وكلها تبين وتوضح وتدعو الى قصر الامل في الدنيا وفنائها هي وما أمل فيها ، الى غير ذلك فيقول الامام عليه السلام :

« ان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل » (ج ١ ص ٧٠) ويقول عن الدنيا : « ولا يغلبنكم فيها الامل » (ج ١ ص ١٠١) ويقول « واعلموا أن الامل يسهي العقل ، وينسي الذكر ، فاكذبوا الامل فانه غرور ، وصاحبه مغرور » (ج ١ ص ١٥١) ويقول عليه السلام : « والزهادة قصر الامل ، والشكر عند النعم ، والورع عند المحارم » (ج ١ ص ١٣٠) ويصف ابن آدم فيقول : « فان أجله مستور ، وأمله خادع له » (ج ١ ص ١١١) ويقول : « وحضر تكلم كواذب الامل » (ج ١ ص ٢١٦) ويصف الدنيا فيقول : « وتحلت بالامل » (ج ١ ص ١١١) ويقول في كتاب له الى معاوية « وأحذر أن تكون متمادياً في غرة الامنية ، مختلف العلانية والسريرة » (ج ٣ ص ١٠) ويذم قوماً فيقول : « وتصافيتم على حب الامل » (ج ١ ص ١٦) ويقول : « وانما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم ، وتغيب احلامهم » (ج ٣ ص ٣١) ويقول عليه السلام : « ان الدنيا تغر المؤمن لها والمخلد اليها . . . ان النعمة لن تسلب الا بكفر ، فيؤملهم بخير الدنيا ظاهراً » .

وجاء في دعاء كميل الذي علمه الامام : « وحبسنى عن نفعى  
بعد أملى ، وغرتني الدنيا بغرورها » .

كما اننا نلاحظ نفس هذا المعنى يأتي في دعاء علمه الامام زين  
العابدين لابي حمزة الثمالي، حيث يقول الداعي في مقام الاعتذار  
عن ذنوبه : وافنيت بالتسويف والامال عمري » .

هذا ، ويجب ان لا يغيب عنا : ان المذموم في اكثر النصوص  
هو طول الامل ، اما الامل المعقول الطبيعي فهو يأخذ لنفسه نصيباً  
من الدوافع ، وقد يكون ضرورياً ، ففي رسالة الامام عليه السلام  
للأشتر يقول له حول الجند « فافسح في آمالهم ، وواصل في حسن  
الثناء عليهم » .

هذالكه في مجال استهداف المتع المادية التي عبر عنها  
بـ« الدنيا » . اما في مجال الامال التي ترتبط بمسألة التكامل المعنوي:  
فاننا وجدنا كيف أن الاسلام دفع الى تركيبها وتجسيدها في وعى  
الانسان ، ونحن نجد في الادعية الفقرات التالية كتأكيد لذلك :

« وعظم فيما عندك رغبتى » - في دعاء كميل - وفي دعاء الثمالي:  
« الحمد لله الذي لا أرجو غيره ولو رجوت غيره لاخلف رجائي »  
« ومناهل الرجاء لديك مترعة » « افتراك يارب تخيب ظنوننا او تخيب  
آمالنا ، كلا يا كريم ، فليس هذا ظننا بك ولا فيك طمعنا ، يارب ان  
لنا فيك أملا طويلا كثيراً ، أن لنا فيك رجاء عظيماً » « الهي لو قرنتني

بالاصفاد، ومنعتني سيبك من بين الاشهاد ودلت على فضائحي عيون  
العباد ، وأمرت بي الى النار ، وحلت بيني وبين الابرار ، ماقطعت  
رجائي منك ، وما صرفت تأميلي للعفو عنك . ولا اخرج حبك من  
قلبي » .

« فانما اسألك العظيم لقديم الرجاء فيك وعظيم الطمع منك:  
الذي اوجبته على نفسك من الرحمة والرفقة » .  
وأخيراً فـ « انت موضع أملى » .

وهكذا يتعاضم الامل بالله الى أقصى حد، فيقول الامام عليه السلام  
مخاطباً المسلم : « كن لما لا ترجو ارجى منك لما ترجو ، فان موسى  
بن عمران خرج يقتبس لاهله ناراً فكلمه الله عزوجل فرجع نبياً » .  
ولكن هذا الامل العظيم يقترن بمقتضيات تجعله املاً صادقاً ،  
ورغبة خالصة ، والا فهو مجرد كذب وخداع .

فان مثل هذا الامل يجب ان يشكل منطلقاً نحو تحقيق مقتضياته،  
ورأسمالاً للعمل على تنفيذها. اذ المؤمن « رأسماله الرجاء » ، منه  
يندفع نحو العمل الصالح وبطاقته يقتحم الصعوبات ، اما اذا عدم  
العمل بمقتضيات الامل فهو كاذب خداع .

يقول القرآن الكريم :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً » الكهف: ١١٠ .

ويقول الامام امير المؤمنين عليه السلام :



« ألا وان اليوم المضممار، وغدا السباق والسبقة الجنة، والغاية النار ... ألا وانكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله ، ولم يضره أجله ، ومن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله » (ج ١ ص ٧٠) .  
ويقول عليه السلام :

« الا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة . ألا واني لم أركالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربيها » .

وعن ابن ابي نجران عن ابي عبد الله عليه السلام قال : قلت : قوم يعملون بالمعاصي ، ويقولون : نرجو ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت ؟ قال : « هؤلاء قوم يترجحون في الاماني . كذبوا ليسوا براجين ، ان من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف من شيء هرب منه » (و فسر الترجيح بالتأرجح) (سفينة البحار ج ١ ص ٥١٢) .  
وقد روي عن امير المؤمنين عليه السلام قوله :

( يدعى انه يرجو الله . كذب والعظيم ! ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله؟! وكل من رجا عرف رجاؤه في عمله الا رجاء الله فانه مدخول ، وكل خوف محقق الاخوف الله فانه معلول )!! (الوسائل ج ١١ ص ١٧١) .

وعلى هذا ، فقد اقترن الرجاء والامل بالحذر من المخالفة والانحراف اقتراناً قوياً اذ يقول تعالى :



« يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه » (الزمر : ٩) :

وجاء في دعاء ابي حمزة الثمالي :

« اذا رأيت مولاى ذنوبى فزعت ، واذا رأيت كرمك طمعت »

وفى موضع آخر : « ولك خالص رجائى وخوفى » .

وهكذا يتأكد فى خلد المسلم خط متوازن هو خط الخوف

والرجاء .

كل هذا كان لتركيز الامل الحقيقى بصورة عامة وكتيئة .

امسا فى مجال تأثير اسباب الامل وضوابطها فهذا يحتاج منا

لمراجعة عامة سريعة لها، والاطلاع على الشرائط التى يضعها الاسلام

لتأثيرها .

واذا رجعنا الى منميات الامل ومقوياته فى العقيدة :

من الجنة ونعيمها والرضوان الالهى وعطائه ، وجدنا أن القرآن

الكريم فى نفس الوقت السذى يعرض لنا فيه من ذلك صوراً هى

غاية فى الروعة، يعرض علينا أيضاً صوراً من العذاب الشديد للعاصين

هى غاية فى الروع ايضاً، ولانريد هنا استعراض ذلك، بل نشير الى أن

عرض صور العذاب الى جنب عرض صور النعيم لا يقلل من حدة

الشوق الى النعيم بل قديزده بتقوية النفور من ضده . ولكنه على

أى حال يوجد الوعى بصورة اكمل للزوم الالتزام بمقتضيات تحقيق

أمل الفوز بالنعيم، او فقل يوجد التوازن المطلوب الذي به يتحدد الانسان بالحدود الواقعية للامل ، ولا يخرج على حدوده ، فيعيش فى عوالم خيالية مصطنعة قد تتخيل له فتصور له - مثلا - ان رحمة الله تعالى لما كانت هى الاصل فى كل موقف فليفعل هو ما يشاء وسوف تشمله تلك الرحمة ! ان هذا التصور لاريب يعنى القضاء على الاهداف وتضييعها ولكن صور العذاب ، تكشف له عن الواقع ، وان الله تعالى سيعاقب المنحرف أشد العقاب ، لانه لم يلتزم بمقتضيات تحقيق الامل :

« نبيء عبادي أنى أنا الغفور الرحيم، وأن عذابي هو العذاب الاليم » .

وفى الرواية عن الحرث بن المغيرة أو أبيه عن ابى عبد الله الصادق عليه السلام قال :

« قلت له : ما كان فى وصية لقمان ؟ قال : كان فيها الاعاجيب ، وكان اعجب ما كان فيها أن قال لابنه : خف الله خيفة لو جثته ببر الثقلين لعذبك ، وارج الله رجاء لو جثته بذنوب الثقلين لرحمك . ثم قال ابو عبد الله عليه السلام : كان أبى يقول : ليس من عبد مؤمن الا وفى قلبه نوران : نور خيفة ، ونور رجاء ، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا » (الوسائل ج ١١ ص ١٦٩) .  
وعن ابى حمزة الثمالى قال : قال الصادق جعفر بن محمد

(عليهما السلام) : « ارج الله رجاء لايجرئك على معصيته ، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته » .

والمفهوم من مجموع الروايات : ان هناك تناسباً طردياً بين تعمق الايمان وتعمق الخوف والرجاء . وقد يخطر بالبال ان الرجاء والخوف - كما هو تعبير الرواية - ككفتى ميزان ، فكيف يمكن تعميقهما ؟ اذ لو زاد هذا نقص ذلك مثلاً ؟

الا أن هذا الخطور ليس بصحيح بعد الالتفات للنقاط التالية:

### النقطة الاولى :

ان تعمقهما قد يكون المراد منه وضوح المحتمل وجلاله لدى النفس ، لارتفاع درجة الاحتمال ليأتى ذلك الخطور مثلاً، اذ فرق بين ( الرجاء والخوف ) الصادرين من شخص عادي ينظر للامور بسذاجة وقيسها على حياته و(الرجاء والخوف) الصادرين من انسان بعيد النظرة ، قربت العوالم المعقولة لديه الى عالم الحس، فاصبح يحس بهول النار وروعة الجنة عياناً ، وذلك كما يقول امير المؤمنين عليه السلام فى وصف المتقين :

« عظم الخالق فى انفسهم ، فصغر ما دونه فى اعينهم ، فهم والجنة كمن قد رأوا فهم فيها منعمون ، وهم والنار كمن قد رأوا

فهم فيها معذبون .... فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً ،  
وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً ، وظنوا انها نصب اعينهم . واذامروا  
بآية فيها تخويف ، اصغوا اليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير  
جهنم ، وشهيقها فى اصول آذانهم « (نهج البلاغة - فهارس الصالح  
ص ٣٠٤) .

### النقطة الثانية :

ان من الممكن تصور ارتفاع درجة الاحتمال فى كل منهما مع  
اختلاف فى متعلقهما ، اى أن يقوم الامل - مثلاً - فى رحمة الله تعالى  
وعفوه فيأمل الانسان فى ذلك املاً بعيداً ، فى حين يتضخم الخوف  
من سوء العاقبة . وهناك اخبار تتحدث عن هذا المعنى فعن امير  
المؤمنين عليه السلام قال : « ان المؤمن لا يصبح الا خائفاً وان كان  
محسناً ، ولا يمسي الا خائفاً وان كان محسناً ، لانه بين أمرين : بين  
وقت قدمضى لا يدري ما الله صانع به ، وبين أجل قد اقترب لا يدري  
ما يصيبه من الهلكات » (الوسائل ج ٦ ص ١٧٥) .

وعن ابى عبيدة الحذاء عن الصادق عليه السلام انه قال :  
« المؤمن بين مخافتين ، ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه  
وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك .. » (الوسائل ج ٦ ص ١٧٢)  
وتدعو بعض الروايات الى التركيز على العاقبة ، فان الخوف  
من سوتها يدفع الانسان نحو العاقبة الحسنة ، ويتقوى أمله اكثر  
فاكثر .



فعن الامام العسكري عليه السلام عن آبائه قال : قال الصادق عليه السلام : « ان الرجل ليكون بينه وبين الجنة اكثر مما بين الثرى الى العرش لكثرة ذنوبه ، فما هو الا أن يبكي من خشية الله عزوجل حتى يصير بينه وبينها اقرب من جفنه الى مقلته » .

وفى الحديث عن الصادق عليه السلام :

« حسن الظن بالله ان لاترجو الا الله ، ولا تخاف الا ذنك » .

### النقطة الثالثة :

ان قوة الخوف والرجاء قد تأتي من ناحية أثرهما في النفس وانعكاسهما على السلوك الخارجي .

فالتقوي منهما هو الذي يوجه سلوك الانسان لصالح الهدف .  
يقول الصادق عليه السلام :

« لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو » ( وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٧ ) .

ومن الطبيعي ان يكون لدرجات الايمان دورها في فاعلية الخوف والرجاء .

فهناك درجات من الايمان يحتاج المرء معها لان يتوفر على درجة من الخوف والرجاء حتى يضمن السير المتوازن ، وهناك



درجات من الايمان قد يؤمن فيها من الانحراف حتى لو وجد احدهما فقط ، فاذا وجد الاثنان كان تحقيق الغاية اضمن من ذي قبل .

### النقطة الرابعة :

ان نرجع الى ما قلناه في النقطة الاولى ، فنعمق الاحساس بالنار والجنة اكثر، بأن يحس الانسان باللذائذ المعنوية التي سيحصل عليها - اضافة للذات المادية من الحور والجنان - واروع ما فيها هو ( رضوان الله تعالى ) فهو النعيم الاكبر . كما يحس بالعذاب المعنوي الشديد الذي يتجاوز العذاب المادى، وذلك ما عبر عنه المقطع الرائع من الدعاء : « فهبني يارب صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك » .

### وعلى اى حال :

فالخوف والرجاء اذن متساويان في خلد الانسان المؤمن ومكافئان يعملان جنباً الى جنب في تحقيق الغاية المنشودة .  
وإذا انتقلنا الى الاعتقاد بالنبوة وفروعها والامامة ومقتضياتها ، وجدنا التأكيد الشديد على لزوم الانخراط في صف العاملين والملتزمين بكل تعاليم الشريعة، حتى يمكن تحقيق الاهداف الكبرى التي يرسمها في الذهن ذلك الاعتقاد .

ولا أرى فعلاً داعياً للتفصيل والتعرض الى الروايات التي تعرف  
المسلمين حقيقة المسلم ، وحقيقة الانسان الموالي لاهل البيت عليهم  
السلام الذي له الحق أن يأمل بالفوز فذلك امر له محله .

### فى مجال القوانين القرآنية :

اما فى مجال القوانين القرآنية التي مرت علينا من قبل : فانه  
من الواضح ان كل حكم يتقيد بموضوعه ، وما لم يتحقق الموضوع  
فليس من الصواب ان نتوقع حدوث الحكم . ومن هنا ، فان المسلم  
عليه ان يحقق مواضيع تلك القوانين حتى يأمل الحصول على  
احكامها . .

فمثلا يجب أن يكون على الحق لينسجم مع سر الوجود ،  
ومع العدل ليكون مؤيداً بالقوانين السارية فى الكون ، ومع الايمان  
ليتوقع النصر وهكذا .

واخيراً فانا استعرضنا بعض القوانين التي يعتقد المسلم بتأثيرها  
تماماً كما يعتقد بتأثير القوانين الحسية ، وهذه القوانين لها قيودها  
ايضاً ، وهي تضمن لها الاداء الصحيح وعدم الانقلاب الى الضد .  
وهنا نحن نستعرض بعضها بايجاز :

## الدعاء :

وقد جعلت لاستجابته شروط ، وعمدتها الاقبال بالقلب، وهو

أحد أسرار تشريع الدعاء ، فقد قال الصادق عليه السلام :

« من أراد أن ينظر منزلته عند الله فليُنظر منزلة الله عنده ، فان

الله ينزل العبد مثل ما ينزل العبدالله من نفسه » ( الاخلاق - شبر -

ص ٦٢ ) وقال امير المؤمنين عليه السلام « لا يقبل الله دعاء لاه » (نفس

المصدر ) .

وعن الصادق عليه السلام قال :

« احفظ آداب الدعاء، وانظر من تدعو ، ولماذا تدعو، وحقق

عظمة الله وكبريائه ، وعاین بقلبك علمه بما فى ضميرك ، واطلاعه

على سبرك ، وما كمن فيه من الحق والباطل ، واعرف طرق نجاتك

وهلاكك ، كى لا تدعو الله بشىء عسى فيه هلاكك وأنت تنظر ان

فيه نجاتك » (نفس المصدر) .

وسئل الصادق عليه السلام بعد أن قرأ : « أمن يجيب المضطر

اذا دعاه ويكشف السوء » : ما لنا ندعو ولايستجيب لنا ؟ فقال :

« لانكم تدعون من لا تعرفونه ، وتسالون ما لاتفهمونه » .

نعم ان كل هذه الامور وغيرها توضح مسيرة الداعى، وتجعل

مفهوم الدعاء يؤدي دوره الصحيح .

## وأما التوبة :

فيكفي أن نقول : ان التوبة المطلوبة من العبد هي التوبة  
النصوح ، أي التي قامت على اساس تصميم وعزم صحيح على  
الاقلاع عن الذنب والسير فى الطريق المستقيم .  
وقد روي أن رجلا قال بحضرة امير المؤمنين عليه السلام  
« استغفر الله » فقال له :

« ثكلتك أمك ! أتدرى ما الاستغفار ؟

الاستغفار درجة العليين . وهو اسم واقع على ستة معاني : -  
اولها : الندم على ماضى .  
والثاني : العزم على ترك العود اليه أبداً .  
والثالث : أن تؤدى الى المخلوقين حقوقهم ، حتى تلقى الله  
املس ليس عليك تبعة .

والرابع : ان تعمد الى كل فريضة ضيعتها تؤدى حقها .  
والخامس : أن تعمد الى اللحم الذى نبت على السحت  
فتذيبه بالاحزان ، حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد .  
والسادس : ان تذيق الجسم ألم الطاعة ، كما أذقته حلاوة  
المعصية .

فعند ذلك تقول : استغفر الله .

## اما مفهوم الشفاعة :

وهو الباب الاخر للامل ، فقد صرحت الايات بأنها لن تكون الا لمن ارتضى ، فالاهلية شرط اساسى لكي يقع المشفوع له مورداً لشفاعة الشفيع .

وهكذا رأينا الشروط العامة والخاصة كلها تؤكسد على أن لا ينتقض الغرض من فتح ابواب الامل ، فيعود الامل غروراً ، ومحفزاً للانحراف ، بعد ان كان قد اريد له أن يكون الدافع نحو التكامل والهدف التشريعى المنشود .

وهذا الابهام من مستقبل شفاعته - ومثله الابهام فى مستقبل توبته - له أثره الكبير فى منع تحول الشفاعة والتوبة والدعاء وغيرها من ابواب الامل الى مبررات للانحراف . . . ومن هنا فهي تؤدى دورها الايجابى ، وتمنع ضوابطها والابهام فى مواردنا من الاستغلال .

ولا يفوتنا هنا التنبيه الى نقطة تفرع على لزوم اهلية المستشفع للشفاعة ، وهى: مسألة لزوم أن تتأطر امانى المستشفع بصيغة الشفيع واهدافه ، وهذا يضمن لنا بالتالى صحة المسار المختار وواقعية الاهداف وانسجامها مع أهداف الشفيع نفسه .



## - استعراض وربط -

بمراجعة فاحصة لما سبق عرضه من العقائد الاسلامية، والقوانين التي يصبها الاسلام في ذهنية الانسان المسلم ، تتوضح لنا معالم الموقف ، وروافد الامل الكبرى في تلك الذهنية ، والتي كان المفروض فيها أن تتحول الى ايجابية واقعية نحو اقامة المجتمع الوسط ، ومواصلة المسيرة الخيرة الى الغاية الخيرة .

اننا سندرك بهذه المراجعة: ان الاسلام يتخلص من نقطة الضعف الكبرى التي شلت المبادئ الوضعية عن العمل في صنع التاريخ ، وعن اشباح الطموح الانساني الثواب الذي يعتبر وقود العمل على طول الخط ، وتلك النقطة هي : ( التحديد المادي ) .

فعلى العكس من ذلك نجد ان الاسلام يربط الطموح بغاية ما يمكن أن يطمح اليه الانسان وهل هناك غاية اروع من الخلود الواقعي في درجة هي غاية من السعادة في جنّة ، هي غاية في الاشباع النفسي والجسمي « فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين » و « رضوان من الله اكبر » . . . . وهنا يمكن ان نستعرض مختلف انواع الملذات الاخروية التي يعرضها القرآن الكريم ، بل يستعرض بعضها ، لان فيها « مالا عين رأت ولا اذن سمعت » .

وإذا ثبت كل ذلك كانت كل تلك التضحيات الغالية منطقية

جداً ، ومنسجمة جداً مع اسسها واهدافها البعيدة . .  
. . . ولنا بعد ذلك ان نستعرض نقاط الضعف السابقة ، والتي  
لازمت المبادئ الوضعية ، فنجد انها تتحول الى نقاط قوة عند  
المبادئ الالهية التي يتوجهها الاسلام ، لاحتوائه على كل حسناتها  
وزيادة .

وقد سبق ان المبادئ الوضعية لاتمتلك الاهدافا محددة ،  
وبنظرة - ولو سريعة - الى العقيدة الاسلامية والاهداف التي يحددها  
القرآن للانسان فى الدنيا والاخرة يمكننا أن نجد البون الشاسع  
بين الاهداف ، فان المسلم يعتقد : أن الوحي استهدف دنياً : ان  
يسلك بالبشرية صعوداً نحو تحقيق مجتمع العدل والسعادة ، حيث  
تملاً الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، وسنتحدث فى  
الخاتمة عن دور انتظار ذلك اليوم فى الدفع نحو العمل .

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف بشكل طبيعى واقعى ، تسعى  
الهداية الالهية لمسايرة المسيرة البشرية وبعث انوار الحق كلما خبت  
مر كزة العقيدة شيئاً فشيئاً ، وبشكل يتناسب مع كل مرحلة من مراحل  
عمر الانسان . . . فلا عجلة فى الطريق . . ولا يأس من الوصول .  
هكذا يعتقد المسلم على ضوء تعاليم القرآن الكريم . . ان  
العالم سيصل الى دنيا المتقين . . فى مسيرته الطويلة فكل النبوات  
تعتبر فى نظره خطوات على الطريق نحو اليوم الموعود . . غاية الامر

ان هذه الخطوات تمر بمنعطفات تاريخية ، كما فى الانبياء اولي العزم .

والمسلم عندما يعتقد ذلك يمتلك المبررات التى تجعله ينتظر هذا اليوم بمزيد من الشوق . . . فانه يستمد حتمية مجيئ هذا اليوم من امور كثيرة واهمها :

وعدالله تعالى به .. وهو تعالى عالم بكل اسرار الكون، لانه خالقه وبارئه ، والمحيط بكل ما يمر به المجتمع الانساني كجزء من احاطته بالكون - من عقبات وانتصارات . . فهو عندما يخبر عن ذلك فانه لا شك حاصل . . ولن يقلل من الايمان بوجوده ما يشاهده مسن طغيان الظلم والانحراف . . فان المسلم يعتقد بان الحق سينتصر «فاما الزبد فيذهب جفاء ، وما ماينفع الناس فيمكث فى الارض» .. وان العاقبة للمتقين . . وان للباطل جولة وللحق دولة . . وان الله سينصر رسله . وان حب الله تعالى له سيكون واسطة الى بلوغه الهدف الاسنى فى الارض . . وأنه اذ يعمل على نصره الحق فانه يهىء الارضية الملائمة لعمل القوانين الكونية العامة التى تقوم بالحق .. وهكذا . . فان العدل هو الذى سينتصر فى النهاية الحتمية .

كما انه من الامور التى تركز ايمانه بحتمية اليوم الموعود نفس اعتقاده بان الدين فطري ، وان كل الانحرافات انما تعتبر غشاوات على الفطرة ومن هنا فلا يجد اي مانع من زوال هذه

الغشاوات بعد توفيق من الله تعالى، وعمل جاد من الوعاة الحاملين  
للواء العقيدة .

ومما يزيد المسلم اصراراً على اعتقاده . . ويقوي فيه أمله . .  
وخصوصاً في مثل هذه العصور . ، ماهو الواقع من مرور العالم  
بتجاربه الكثيرة مع المبادئ الوضعية . . وملاقاة الامرين من ذلك . .  
فقد أكد الكثيرون من المفكرين زيف ما تدعيه هذه المذاهب من  
خيالات مسرفة لا واقع وراءها . . وبالخصوص ما لاقاه العالم من  
المبدأين المتصارعين الكبيرين : الاشتراكية والرأسمالية . . مما  
جعله يؤمن بافلاس الحضارة المادية ويتجه - بكل خجل وشوق  
- نحو الحياة التي تجمع بين الاشباعين المادى والروحي . . ولن  
يجد امامه - وهو في هذا الاتجاه - الا الاسلام ، والاسلام وحده  
كبديل لهذه الحضارات الخاوية الباطن البراقة الظاهر ، والتي  
حولت الانسان الى آلة في تفكيره وتصرفاته كلها ففقد معها اصالته  
الانسانية وسيأتى الحديث عن هذا المجال .

وهذا الامل لن يوضع في أطاره الحقيقي الا اذا انظم اليه  
الاعتقاد بأن الانسانية (كل مترابط) وان كل سلوك يسلكه اى فرد له  
تأثيره - وان كان ضئيلاً - فى المستقبل . . مما يستتبع أن تقوم  
البشرية في كل عصر بالثناء والشكر لصالح كل انسان عمل على  
أن يدفع بالركب الى الامام ، وان يحقق الانفتاح على واقع أفضل لها .



وهذا الثناء والشكر لن يكون له أى مؤدى واى فائدة الا اذا  
انظم اليه الاعتقاد بوصوله على هيئة درجات ترفع ، ومقام يعلو ..  
وحسنات تضاف الى ذلك الانسان الذى قد يكون قد توفى منذ عشرات  
القرون . . وهذا بدوره لن يكون الا بالاعتقاد بالآخرة والحياة  
الخالدة .

والمسلم هو الذى يعتقد بكل هذه الاطر تماماً . اذ الاسلام  
يجعل المؤمنين - قبل كل شىء - رتلا واحداً له مسيرة واحدة ،  
ومستقبل واحد ، ويرى ان اى عمل يمكن ان يؤديه سابق يوجب  
على اللاحقين أن يقوموا بازائه باداء حقه من الشكر ، فضلاً عن حمل  
رسالته ودفعها للامام .. وهذا الشكر يتمثل فى دعاء المؤمنين لمن  
سبقوهم بعلو الدرجات .

واروع صورة لهذا الدعاء : الصلوات التي يرسلها المؤمن  
المسلم فى صلواته اليومية وغيرها الى محمد (صلى الله عليه وآله)  
واهل بيته عليهم السلام باعتبارهم ارفع مثل للعمل الجاد الواعى  
المضحى فى سبيل مستقبل الانسانية .. وما اروع ان يقوم المسلمون  
بشكر قادتهم ، والدعاء لهم ، والطلب من الله تعالى ان يغمرهم  
بالصلوات والخيرات على مر العصور ..

ومن هنا يدعو المسلم لآخوانه الذين سبقوه بالايان « ربنا  
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايان » الحشر : ١٠ .



وجميل ان نجد المسلم فى نهاية كل صلاة يسلم على عبادة الله الصالحين ، من سبقوا ومن هم فى هذا العصر ومن لم يولدوا بعد . ومن هذا القبيل ما يكاد أن يصبح من المسلمات لدى المسلمين انه « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » فهذا المضمون وارد فى احاديث عديدة .

منها ما عن الصادق عليه السلام : « ليس يتبع الرجل بعد موته من الاجر الا ثلاث خصال : صدقة أجزاها فى حياته ، فهي تجري بعد موته ، وسنة هدى سنها فهي يعمل بها بعد موته ، وولد صالح يستغفر له » .

وعن ابي جعفر عليه السلام قال : « أيما عبد من عباد الله سن سنة هدى كان له أجر مثل أجر من عمل بذلك ، من غير أن ينقص من اجرهم شىء ، وأيما عبد من عباد الله سن سنة ضلالة كان عليه مثل وزر من فعل ذلك من غير ان ينقص من اوزارهم شىء » .

وهكذا يتجاوز فاعل الخير المسلم حدود حياته هو وحتى حدود ما يمكن ان تكون حياته قد قدمت له من ثواب فى الآخرة ، الى حيث يتصور التسلسل اللانهائى تقريباً للخيرات التي سيغرس بذرتها ... فهو على لسان من يأتون بعده : دعاء بالخيرات والخير ، وله من كل ما يعملون اجره الذى ينتظره . . فى حين ينقلب هذا

الامر بالنسبة للمسلم الذي يريد ان يقدم على عمل السوء ، فانه سيتصور لعنات الاجيال الاتية ، المائثم الكبرى التي ستلاحقه بعدموته فتضاعف عليه بمقتضى هذا القانون المعنوي القائم كسنة كونية عامة .

فالمؤمن - اذن - تصله خيرات السابقين واللاحقين ، ويوم القيامة بعد لم يقم .. اذ هو يمر بعالم متوسط اطلق عليه اسم «البرزخ» . هذا كله في اطار الهدف الذي يمكن ان تجنيه الانسانية بوجودها الممتد في الحياة الدنيا ، وان كانت بعض الاطر تتجاوزها الى الاخرة لتوجد الربط بين الاعمال السابقة واللاحقة . وكل هذا - لعمرى - يكفى فى ان يشكل دافعاً قوياً ومبرراً صالحاً لما يحتاجه اي مبدأ من تضحيات وجهود كبرى .

ولكن كل هذا . . . يعتبر لاشىء اذا قيس لما يعتقد المسلم من ما سيكون في عالم الاخرة من جزاء عظيم - ان سلباً او ايجاباً . وهكذا . . . .

. . . يقوم المسلم بالعمل لصالحه هو ولصالح مجتمعه ، ويعيش حياة اخلاقية عالية تتجلى فيها الانسانية بأجلى مظاهرها . ويطبق باقي اجزاء النظام البناء الدقيق ، والذي روعيت فيه العدالة بدقة وتوازن . . . بعد ان يعتقد بما تمليه عليه فطرته . . . وبما ينقذه من عالم الضياع والقلق .

وما أن يقوم بهذا ، او يعمل على الوصول اليه حتى يكون مؤهلاً

لخيرات عالم الاخرة الفسيح .

وهذه الخيرات الموعودة تنزايد وتتضاعف كلما صدر من المسلم عمل خير في هذا السبيل فكل الاعمال التي تعتبر في الحساب المادى خسارة ما بعدها خسارة تتحول هنا الى ربح ما بعده ربح .  
وعندها ، تهون كل الشدائد والمصائب وتذوي كل العقبات الطارئة المؤقتة . . . . . بعد ان تتعلق روح المسلم بعالم الخلود الموعود .

« ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ، ولا مخرصة في سبيل الله ، ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلاً . . . . . الا كتب لهم به عمل صالح ، ان الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ، ولا يقطعون وادياً . .. الا كتب لهم ، ليجزيهم أحسن ما كانوا يعملون » .

ان الاخرة لتملك على الانسان لبه . . فتجعله يتعشق ما يهيبه  
فيها اكبر اسباب الراحة . . . ويتنافس في فعل الخيرات .  
« وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » .

وانها لتقلب المفاهيم المادية القائمة على المصلحة واللذة ، والمال والغنى ، والفقر . حتى أن الفقراء جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وآله يشكون من فقرهم لا لشيء الا لانهم لا يستطيعون الانفاق في سبيل الله تعالى .

واخيراً

فمن خلال هذا العرض الرابط السريع نستطيع ان نقول :  
ان الخلود الاخروي في ذهن المسلم يختلف كثيراً عن الخلود  
الذي تنادي به الشعارات الوضعية - بل لاربط له به - اذ ذلك  
الخلود خلود الشعارات البراقة ، والخيال المجنح ، والسراب  
الكاذب لاغير .

بينما يستمد الخلود الاخروي ضماناته من قدرة الله تعالى  
ووعوده للمؤمنين .

مفهوم الانتظار ودوره:





وهنا لابد من الحديث عن مفهوم الانتظار والاعتقاد بالمهدى المنتظر عليه السلام واثره فى تقوية الامل وتجسيده :

فرغم ان هذا الاعتقاد اريد له ان يكون عالميا ، وانه جاءت به كل الاديان السماوية ، الا أن التشويهات والتحريفات والتعصبات حاولت حصره فى نطاق ضيق من الامة الاسلامية ، فافقدته الفاعلية المطلوبة على الصعيد العالمى . هذا من جهة .

واما من جهة اخرى : فان التصور الخاطيء لعملية الانتظار وملاحظته كموقف سلبي : قضى على مفعولها تقريبا ، بل حولها الى تبرير غريب للحالات اليائسة ! .

ان هذا المفهوم لسو وضع فى اطاره العام الصحيح وهو : الاستعداد والهيؤ للاشتراك فى الانخراط فى اتباع المصلح السماوى الذى سيملا الارض قسطاً وعدلاً - وهو الامام المهدي عليه السلام

والذى سيجعل « الدين كله لله » ، فانه سيكون له التأثير الكبير جداً فى حياة المنتظرين ، اذ سيدفعهم لاعداد الارضية فى انفسهم وفى مجتمعهم لذلك الحدث الكبير . ان هذا الانتظار سيملاً وجودهم ، ويستغرق كل انماط سلوكهم ، ويجعلهم يتبعون كل السبل فى سبيل تحقيق ذلك الامل المنتظر .

ولقد أكد بعض علماء النفس على انه يجب ان نركز على ان العمل الانسانى قائم فى اساسه على انتظار شىء ، ومتى ما خلا الانسان من الانتظار فقدمات سلوكياً .

وإذا كان ذلك صحيحاً فما اروع وما ابعد مدى هذا الانتظار الاسلامى للمصلح العالمى ويومه الموعود .

والنقطنان الاساستان فى الانتظار اللتان تعملان على ازدياد تأثير الامل فى الانسان المسلم ، وتقريبه من عالم التجسيد والحس هما :

### الف :

انه يركز فى اعتقاد الانسان المسلم الايمان الكامل بالموجود الحسى الحى ، الذى يعيش معه فى هذه الدنيا كما يعيش هو ، ولكنه اختفى عن العيون بقدره الله تعالى ، ولكنه عليه السلام يراقب - حساً - عمل المؤمنين ويتابع خطواتهم استعداداً لذلك اليوم .

ان هذا الشعور - بالاضافة الى معطاته الكثيرة - ليمنح الانسان دفعا اكبر نحو شدة المراقبة ، وشدة الوعى ، وشدة العمل . وذلك

بشكل يعجز عن وصفه التعبير اللفظي .

كما انه يضل يستصرخ المسلم ويزيد من شوقه ، ليعمل كل ما يمكن فى سبيل ظهوره عليه السلام وانتقاله من عالم الخفاء الى مسرح القيادة .

فلاحساس بمراقبة الامام للخطوات ، والاحساس القائم بكون الامام فى عالم الخفاء والغيب عن الابصار : كلاهما يملكان تأثيراً كبيراً فى صبغ عمل الانسان بالوعى ، والشدة ، والاتساع .

ب :

ان الانتظار يركز فى عقيدة المسلم : ان النصر مضمون فى الدنيا قبل الاخرة ، وانه سيحس به ويتأثر به عالمه الحسى هذا . وهذا له تأثيره الفعال ايضا فى زيادة الاحساس بالامل ، والعمل لتحقيقه .

والنتيجة : ان تركيز الاحاديث الشريف على الانتظار، والادعية المختصة بهذا المورد : لهو اسلوب اسلامى فذ فى الاشعار بالامل وتركيز الاحساس به .





مثال من القرآن الكريم



وقبل ان ننتقل للفصل التالي نرجع الى القرآن الكريم ليحدثنا  
عما استطاع الامل الاسلامى القيام به من دور فى حياة الجماعة المسلمة  
وفى اخرج لحظات الحياة . . .

فقد احست قريش بعدان رجعت من معركة أحد انها لم تستغل  
نصرها غاية الاستغلال، ولم تستأصل الدعوة الاسلامية فى لحظات قوتها  
هى وضعف المسلمين، ولذا فقد تناهى الى النبى صلى الله عليه وآله  
انها عازمة على الرجوع الى المسلمين وتنفيذ خطتها المشؤومة .  
وكان الموقف خطيراً أذ أن جراح المسلمين كانت تنزف نتيجة  
الهزيمة المرة فى معركة احد ، الا أن القرآن هنا اسند النبى صلى  
الله عليه وآله بآيات قرآنية حركت فى المسلمين عنصراً هاماً بعث  
فيهم الحياة من جديد .

فقد امرهم النبى صلى الله عليه وآله ان يتجهزوا للمسير الى

قريش ورفض ان يخرج معه الا الذين شهدوا المعركة حتى ان عبد الله بن ابي قال : اركب معك ، فقال صلى الله عليه وآله : لا .

وجاءت هذه الاية الكريمة لتبين للمسلمين الفارق الكبير بينهم وبين قريش.. فتقول: « ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون » انه الهدف الكبير والرجاء البعيد المدى الذى يدفع الكل للتضحية في سبيله بكل ما يملك .

وهكذا تحرك الجيش الاسلامى الجريح كالاسد الجريح وبلغت انباء تحريره الى قريش فلم تقو على تحمل المعركة من جديد، بعد ان سمعت بالعزم الاسلامى والحماس . . وارسلت من ينهى الامر برجوع كل طرف الى قواعده سالماً .

كان هذا مثالا على دور الامل .

ويمكننا ان نستعرض عشرات المواقف بحل تاريخ المسلمين

الاول كله لنجعله مثالا على دفع الامل الاسلامى .

## الفصل السادس

### الامل

الذى تبعته نوعية النظام الاسلامى





## الاسلام يقود الامة خلال قرون

ان المسلم الواعى رغم كل الدعايات المضللة ليستمد من الواقع الموضوعي القائم امامه املا اضافياً الى جنب ماتمده به عقيدته ومفاهيمه من رجاء ما بعده رجاء .

فانه اذا رجع بنظرته الى الورا .. حيث مطلع الاسلام يجد ان الاسلام نقل الامة من وهدة الجاهلية ، والتأخر الفضيع الى حيث جعلها تمشي على قمم العصور، وتبني اروح حضارة عرفتها البشرية واول و آخر حضارة يمكن ان يجعل العنصر المميز والمحرك لها الدين بصفة عامة .

فلقد قاد الاسلام الامة خلال قرون طويلة ، ولولا اختلال في التطبيق ، وانحراف كبير فى القيادة لكان من المتوقع له ان يسيطر على العالم ، ويوجه الانسانية الى حيث كمالها اللائق بها .  
ويجد - اي المسلم - ان الاسلام انتصر بعوامل كثيرة كان من

اهمها القيادة الحكيمة المفقودة فعلا ، وخصائص الاسلام نفسه التي يمكن ان نطلق عليها صفة « الواقعية » والتي عبرت عن نفسها في الظواهر الاسلامية العامة التي منها هذا ( الامل ) موضوع هذا الكتاب .

ومنها المرونة والترابط والتوازن والشمول وامثال ذلك كما عبرت عن نفسها في ابتنائها على ارضية اصيلة : تحدد للانسان موقفه من الكون على اساس فطري عقلي وتمنحه عقيدته الخالصة التي تنبع منها مفاهيم تصورية رائعة واخلاقية فكرية وعملية . وقد نوفق في ماياتى من هذه السلسلة لعرض هذه المظاهر .

واذا كانت القيادة الحكيمة غائبة فعلا فان طاقات الاسلام متوفرة فيه ، وان لم نستطع ان نستوعبها ونستوعب تأثيراتها في النفوس ، ونطبق اساليبها في التبليغ والعمل . وهذه الطاقات - رغم عدم وضوحها في أنفسنا - تعمل عملها اليوم في خلق موجة عالمية للاتجاه للاسلام، وقبول قيادته والانضمام لمعسكره الانساني .

### الاعداء يشعرون بالخطر

اننا بعد أن نعترف بان هناك قصوراً وتقصيراً كبيرين في جهاز التبليغ الاسلامي لنلاحظ ان تقدم الاسلام اليوم يبشر بكل خير . فقد جاء في كتاب (المالم يقل عن دوجول) انه - أي دوجول - بعد الهزيمة الفرنسية حاول الانتحار وارسل يطلب الراهب الذي يعترف

لديه فقال له معللا ما عزم عليه :

«ان اوربا الغربية الان تنهارأهام النازية ومعنى ذلك انهيار الحضارة النصرانية بصفة نهائية أن امريكا أختنا فى الدين وفى الحضارة وسوف تعمل ما تستطيعه لا نقاذ الموقف شيئاً ما ولكن حضارتنا مع ذلك ستنتهى .

وهناك فى الصين شعب قوي نسميه تارة الخطر الاصفر ولكنى لا اعتقد أنه يكون البديل الصحيح فالحضارة الصينية لا تبلغ درجة حضارتنا المسيحية ولكن الذى اخاف هو هذا الخط الذى يمتد من طنجة الى كراتشى .

ان الاسلام ذو حضارة وثقافة وهو جدير بأن يكون الوارث لنا فاذا تحالف مع الصين فانه لن يوجد أحد يوقف المسلمين عند بوابته<sup>(١)</sup> . وينقل الاستاذ العقاد فى كتابه (ما يقال عن الاسلام) تصريحات عديدة كلها تعرفنا على ادراك الاخرين لسرعة انتشار الاسلام فى افريقيا فيقول مستندا الى احصاءات الكتاب الشاملة .

« ويفهم من الاحصاءات ايضا ان الاسلام سريع الانتشار ولكن العلم به سطحي بين قبائل القارة الاصلاء ... وقد لوحظ أن الشبان من قبائل (الموسى) اقرب الى اقتباس العقائد الاسلامية ويعودون

---

(١) الاستاذ علال القاسى مجلة الهادى العدد الثانى السنة الرابعة

الى اهلهم من بلاد النيجر مسلمين متشددين فى الدعوة الى عقيدتهم  
الجديدة» ص ٢٩ .

ويقول « امانظرة الحذر فهى ديدن المشتغلين بالتبشير والاستعمار  
كلما نظروا الى شيوع الدعوة الاسلامية وسهولة انتشارها بالافناع  
والقدوة » .

وينقل عن المؤلف الامريكى لكتاب (افريقية الجديدة) رايه  
بأن الاسلام اعرق واثبت فى القارة الافريقية من ان تعوقه عن الانطلاق  
فى أرجائها عوائق التبشير او المقاومة السياسية فان المسيحية لم تفلح  
قط فى مقاومة الاسلام بالقارة » ص ٨٤ .

ويقول فى حديثه عن بعض طاقات الاسلام فى الرسوخ: ان من  
اسباب قوة الاسلام بين قبائل (الهوسا) الى الجنوب من بلاد المغرب  
الاقصى أن الشعائر الاسلامية قد أصبحت عندهم « طريقة حياة مع  
الايمان بعقائدها الروحية وقلما ينجح المبشرون فى المزج بين التدين  
واساليب المعيشة اليومية » .

ومن كتاب مؤلف من قبل قس امريكى اسود يتوضح « ان  
تحويل الدعوة الاسلامية - يقصد فى امريكا - من حركة مقصورة  
على السود الى حركة تفتح ذراعيها للسود والبيض من الامريكيين  
هى موضوع الاهتمام الكبير فى دوائر التبشير لان المبشر الاسلامى  
من الامريكيين السود يعاون الدعوة الى الاسلام فى بلاده كلما اتجهت



هذه الدعوة الى ابناء البلاد جميعاً من قبل المسلمين الاسيويين  
والافريقيين وهم اليوم فى امريكا طليعة ناجحة قد يتبعها غداً مدد كبير  
وادعى من ذلك الى اهتمام دوائر التبشير :

ان المسلم الامريكى الاسود يزاحم البعوث التبشيرية مزاحمة  
شديدة فى القارة الافريقية بعد استقلال شعوبها عن سلطان الدول  
الغربية « ص ١٠٩ .

« ويسرى باتين فى سلسلة كتبه عن اواسط افريقية ان انتشار  
الاسلام بين الافريقيين - اذا روجعت اسبابه جميعاً - انما هو نتيجة  
لامحيد عنها لانتشار حضارة انسانية ممتازة لم تكن فى العالم حضارة  
تضارعها او تقوى على فعاليتها .

وأن وصول الاسلام الى القارة الافريقية كان ملازماً لوصوله  
الى القارة الاروبية نفسها وامتداده الى الاقطار البعيدة من القارة  
الاسيوية وقد كان امتياز حضارته سبباً كافياً - لسيادته على العالم  
المعمور والعالم المجهول الذى يصل اليه الانسان المطبوع على  
الترحل والسياسة « ص ١١٤ .

هذا الى غير ذلك من النصوص التى ينقلها هو وغيره عن انتشار  
الاسلام فى عصرنا الحاضر .

فاذا لاحظنا ان تلك العناصر المقوية كانت تمتلك فى مطلع  
الاسلام بلاريب مظهرها اقوى وتأثيرها اكبر لوضوحها وعمقها

في المجتمعات التي تنضوي تحت الاسلام وخصوصاً المسلمين الاوائل  
في الجزيرة العربية عرفنا مدى مساعدتها في عملية انتشار الاسلام  
الى ارجاء المعمورة .

والحقيقة ان مؤتمرات الحوار الذي تدعو اليه والكنيسة  
الكاثوليكية - اليوم - تعبر عن نفس هذا الشعور باحتياجها الى هدنة مع  
الاسلام بعد أن اكتسح الاسلام قواعدها ، ودخلته البشرية افواجاً .

### النظام الاسلامي يسبق الفكر الوضعي

وكل هذه البشائر لو جمعت الى صف حقيقة علمية اصيلة هي  
سبق النظام الاسلامي لكل النظم الوضعية والنظريات البشرية المطروحة  
في المجال التنظيمي ، فان ذلك ليؤكد في قلب الانسان المسلم أعماق  
الامل بالانتصار .

يقول الاستاذ عبدالقادر عودة في كتابه القيم « التشريع الجنائي

في الاسلام » مايلي<sup>(١)</sup> :

وان كانت نظرية الشريعة قد جمعت بين النظريات التي سادت  
القوانين الوضعية من القرن الثامن عشر حتى الان ، فان نظرية الشريعة  
قد تنزهت عن العيوب التي شابته النظريات الوضعية ، وسلمت من  
الانتقادات التي وجهت اليها .

ولعله مما يدهش الكثيرين أن يعلموا : أن للعقوبة في الشريعة  
الاسلامية نظرية علمية فنية تامة التكوين لا يأتبها النقد من بين يديها

---

(١) الجزء الاول ص ٦٢٧ .

ولا من خلفها وأن القانون بالرغم مما وصل اليه من تقدم انما يسير في أثر الشريعة ، وبترسوم خطاها وانه لم يصل بعد الى ما وصلت اليه الشريعة . وان النتائج التي وصل اليها القانون ، والاتجاهات التي يتجه نحوها تدل على أن تطوره في المستقبل القريب أو البعيد لن يخرج عن النطاق الذي رسمته الشريعة للعقوبة » .

ويقول بعد ذلك :

« ولا يفوتنا بعد هذا أن نذكر أن القانون الوضعي كان حتى آخر القرن الثامن عشر قانوناً وحشياً بعيداً عن أفق الانسانية فكان يحاكم الاحياء والاموات والحيوان والجماد وينزل بالجميع عقوبات شتى قائمة على التمثيل والتشهير ، كان القانون الوضعي هكذا حتى أخذ في القرن الثامن عشر بأول مبدا من مبادئ الشريعة الاسلامية فانقلب قانوناً انسانياً بحتاً . . . » .

وليس هذا بالنسبة للقانون الجنائي فحسب بل انا لو استعرضنا مختلف القوانين والنظم الاسلامية وجدنا النظرية الاسلامية قد جاءت باروع نظام في حين ظل الفكر الوضعي يتعثر في طريقه قرونًا وقرونًا وما زال كذلك الا أن يأخذ بحجزة الاسلام .

### مثال اقتصادي مذهبي

يكتب الامام الصدر في كتابه الرائع «اقتصادنا» فيقول :«وبينما

أخذ المجتمع الراسمالي بالحرية الشكلية ، وطرح الحرية الجوهرية  
وفكرة الضمان جانباً ، وقف المجتمع الاشتراكي موقفاً معاكساً .  
اذ قضت الاشتراكية الماركسية فيه على الحرية الشكلية باقامة جهاز  
ديكتاتوري يتولى السلطة المطلقة في البلاد ، وزعمت انها عوضت  
عن تلك الحرية الشكلية بحرية جوهرية ، أي بما تقدمه للمواطنين  
من ضمانات للعمل والحياة .

وهكذا اخذ كل من المذهبين بجانب من الحرية ، وطرح  
الجانب الاخر ، ولم يحل هذا التناقض المستقطب بين الحرية الشكلية  
والحرية الجوهرية ، او بين الشكل والجوهر . . . الا في الاسلام  
الذي آمن بحاجة المجتمع الى كلا اللونين من الحرية ، فوفر للمجتمع  
الحرية الجوهرية بوضع درجة معقولة من الضمان تسمح لجميع  
افراد المجتمع الاسلامي بالحياة الكريمة ، وممارسة متطلباتها الضرورية .  
ولم يعترف في حدود هذا الضمان بالحرية . وفي نفس الوقت لم  
يجعل من هذا الضمان مبرراً للقضاء على الحرية الشكلية ، وهدر  
قيمتها الذاتية والموضوعية ، بل فتح السبيل امام كل فرد خارج  
حدود الضمان ومنحه من الحريات ما ينسجم مع مفاهيمه عن الكون  
والحياة فالمرء مضمون بدرجة وفي حدود خاصة ، وحر خارج هذه  
الحدود . وهكذا امتزجت الحرية الجوهرية والحرية الشكلية معاً  
في التصميم الاسلامي هذا الامتزاج الرائع الذي لم تتجه الانسانية



في غير ظل الاسلام - الى التفكير فيه وتحقيقه الا في غضون هذا القرن الاخير، اذ بدأت المحاولات الى اقرار مبدأ الضمان، والتوفيق بينه وبين الحرية ، بعد أن فشلت تجربة الحرية الرسالية فشلا مريراً<sup>(١)</sup> .

انه اذن انفتاح البشرية على الاسلام - وانه الامل النابع من الواقع التطبيقي، والذي يملأ جوانب قلب المسلم تطلعاً لليوم الموعود .

وقد كتبت قبل سنين في احدى المجلات الاسلامية مقالا قلت فيه: « منذ أن غابت تلك الشمس الرائعة سر تقدمنا ومنطلق عزتنا التي كنا فيها نسير على قمم الزمان الشوايق، منذ أن أسدلت الستر الكثيفة على منبع النور - الا قليلا - ، وكل الفصائل المؤمنة التي وعت واقعتها وحدثت نقاط الداء في جسم الامة ومارأت لكل ادوائها علاجاً ومنقداً الا الاسلام العظيم عندما يعود فيمسك دفة الامور ويحكم في كل مجالات الحياة .. كل هذه الفصائل تمر بمرحلة الصبر وما هي الاعمالية تخزين للطاقات ومنعها من الاهدار والضياح في غير وقتها المناسب. ومن خلال هذه المرحلة الطبيعية تتطلع قلوبها اليوم الى نقاط ضوء تبدو خلال السحب الكثيفة .. فتبشرها بالخير كل الخير .. وتشير لها أن تعد العدة للمستقبل ... »

---

(١) اقتصادنا ج ١ ص ٢٥٠ .



فهنا شعور معمق بالحاجة الى الاسلام ، وهنا نمو في الدعوة الى واقع التطبيق وسعى حثيث نحو انزالها الى واقع التطبيق، وهناك خطوات مشكورة نحو لم الشمل ورأب الصدع، وهنا وهناك بشائر أخرى كلها تبعث في القلوب آمالها وفي العيون بريقها وتدعو المستقبل البعيد البعيد فاذا به يصبح قريباً جداً بحيث لا يمكن الانكار .

لقد التزمت البشرية بأطروحات عديدة . . لا صلة لها بالسماء فجربتها وعاشت في ظلالها .. فلم تجن منها الا الاسى والالام، ولم تجد فيها السعادة التي تريد . . والرواء الذي تحتاج وبالرغم من ذلك بقيت تتخبط بعيداً عن أطروحة السماء الى أن وجدت نفسها في نهاية الشوط مفلسة وقد أعيأها المسير ... وكان هذا الاعياء الان في القرن العشرين حيث نجد ردود الفعل لضياح الانسانية الطويل يتجلى في مظاهر مختلفة : منها اقبال ملفت للنظر على رسالة السماء . ومهما يكن هذا الاقبال . ومهما تكن هذه العودة . . فان لها عندنا قيمتها . . شرط أن توجه الوجهة الصحيحة وتسقى بري القرآن .

اننا نعتبر الامة تعيش الانفتاح على عقيدتها من جديد ، ولا يعنى هذا أننا في الطريق سائرون ببلا عقبات وعراقيل ، كلا . . بل يعنى العكس لان أعداءنا - وهم الاكثر تخطيطاً للامور - يرصدون كل حركة يتململ بها هذا المارد السجين ويعدون له كل حركة نفس ، وحتماً فانهم سيحسبون للامر حسابه . ولكننا مطمئنون بأن للباطل

جولة وللحق دولة ، وأن البشرية بمقتضى واقعها الفطرى الاصيل ،  
وشعورها بخيبة الامال فى آرائها الناقصة ، وتصريحات الذين دقوا  
لها ناقوس الخطر وتنبؤوا بمستقبلها الذى تؤطره السماء باطارها المقدس  
كل هذه تؤكد ان النهاية الطبيعية للبشرية وان ميناء الامان يكمن فى  
نقطة واحدة يذوب عندها كل ما عداها . . . ولعل العالم يصلها  
عن قريب : انها الاسلام الخالد .

« انهم يرونه بعيداً وراه قريباً »

على أن تلك القضية الواقعية لا يمكن أن تفسر سلبية معينة او  
توقفاً مريضاً يعيش على فتات الامل .

بل أنها على العكس تشكل الدافع الدفاق لكل واع ومخلص  
لكي يؤدي دوره كاملاً وهو مطمئن للنتيجة العظمى التي رسمها من  
قبل وعد الله تعالى .

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم  
فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى  
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بى  
شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) <sup>(١)</sup> .

---

(١) مجلة الهادى العدد الثانى السنة الثانية ص ٥ .

واخيراً :

فان طاقات الاسلام مازالت فياضة معطاء . وايجابية الامل فيه ما زالت تدفع العاملين في سبيله ... بشرط أن يحققوا شروط الدفع .  
فالى اهداف الاسلام أيها المسلمون . . . والى الامل الكبير ولنحقق وصية امامنا امير المؤمنين عليه السلام حيث يقول : « الا وأن اليوم المضممار ، وغدا السباق ، والسبقة الجنة والغاية النار . .  
الا وانكم في أيام امل من ورائه اجل فمن عمل في أيام امله قبل حضور اجله نفعه عمله ، ولم يضره اجله ، ومن قصر في ايام امله قبل حضور اجله فقد خسر عمله وضره اجله » .

والله الموفق

## الفهرس

٣	الاهداء
٥	حكمة الكتاب
٧	المقدمة
	المدخل :
١١	عنصر الامل : احد معالم المبدأ الناجح
١٤	العلاقة بين النمو العقلي والامل
١٦	التناسب الطبيعي بين نوعي الامل والعمل
١٧	عنصران مقومان للدعوات
١٨	مع المبادئ الوضعية
	الفصل الاول : الامل في النظم الوضعية
٢٥	حدوده



٢٧	الاعتراض بملاحظة الواقع التطبيقي
٢٨	والجواب
٢٩	لا يمكن للاغراء أن يحل محل الدين
٣١	اهم موهنات الامل المادي
٣٦	مثال رائع من حياة الامام عليه السلام
٤٥	الفصل الثاني : الامل في الاسلام
٤٦	راي بعض المراجع اللغوية
٤٧	الاستعمال في النصوص الشرعية
	روافد الامل في العقيدة الاسلامية : التوحيد ، النبوة ، الامامة
٥١	المعاد
٥٧	الفصل الثالث : قوانين على اساس العقيدة
٥٩	مسألة القضاء والقدر
٦٢	ألف - الحق سر الكون
٦٤	باء - العدل يسرى في انحاء الوجود
٦٦	جيم - الحب اطار العلاقات بين مختلف انحاء الوجود
٧٠	دال - الرحمة : بها انطلق هذا الوجود الكائن
٧٣	الفصل الرابع : القوانين والمفاهيم المتفرعة
٧٦	لامكان للباطل
٧٨	النصر للمؤمنين



- ٨٠ العاقبة للمتقين
- ٨٢ العمل الصالح والسيئات
- ٨٨ التقدم المضاعف من قبل الله الى العبد
- ٩٠ دور الربط المستحكم بين عالم والغيب والشهادة
- ٩٢ نفى اليأس والقلق بشدة
- ٩٥ مفهوم التوكل
- ٩٨ الدعاء
- التوبة والغفران وتأثيرهما في فتح ابواب  
الامل
- ١٠٧ الشفاعة ودورها كمؤكد للعفو والغفران
- ١١٨ ودافع نحو الاسراع في تحقق الامل
- ١٢٧ **الفصل الخامس : ضوابط الامل**
- ضبط الامل في العقيدة على اساس اعطائه صفة  
الواقعية ، وتركيزه على الاخرة
- ١٣٠ كيف يمكن تصور ارتفاع الخوف  
والرجاء في نفس المؤمن ؟
- ١٣٨ ضبط الامل في مجال القوانين القرآنية
- استعراض وربط بين العقيدة والقوانين  
القرآنية في مجال الامل
- ١٤٦

١٥٥ مفهوم الانتظار ودوره

١٦١ مثال قرآني على نور الامل في المجال العملي

### الفصل السادس

١٦٥ الامل الذي تبعته نوعية النظام الاسلامي

١٦٧ الاسلام يقود الامة خلال قرون

١٦٨ الاعداء يشعرون بالخطر

١٧٢ النظام الاسلامي يسبق الفكر التنظيمي الوضعي

١٧٢ مثال من المجال الجنائي

١٧٣ مثال اقتصادي مذهبي

١٧٦ انفتاح الامة على عقيدتها من جديد

١٧٨ اخيراً



این کتاب تحت شماره ۵۷۰ در تاریخ ۵/۶/۷۴  
در کتابخانه ملی ثبت رسیده است











## هذا الكتاب

بين يديك حلقة من سلسلة حلقات نرجوان فوق لإيصالها اليك  
وكلها تستهدف عرض أهم الظواهر العلمية في رسالة الاسلام الخالد .  
وباكتمالها تتوضح صورة اروع عقيدة ونظام قدمته السماء للبشرية  
ليقودها نحو كمالها المنشود .

والامل المبشر بانفتاح البشرية على الاسلام بدأ يورق يوماً فيوماً  
بعد أن كلت البشرية من الجرى وراء السراب الخادع للنظم الأخرى .